**مجلة البيان – العدد 42 ، صفر 1412 هـ / أغسطس 1991م**

الافتتاحية

# ولا تهنوا ولا تحزنوا ..

ليس أضر على الدعوات من أن يتسرب اليأس إلى أفرادها ، أو يصيبهم الوهن والضعف بسبب محنة أو ابتلاء ، فهذا مرض قاتل حذر الله المسلمين منه بعد غزوة أُحُد فخاطبهم قائلاً ((ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنتُمُ الأَعْلَـوْنَ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ))[آل عمران:139] ، فإن من سنة الله في الدعوات أن تنتصر وتنهزم ، وتُبتلى بالمصائب ونقص الأفراد والأنفس ؛ لتكون دروساً قاسية يتعلم فيها المسلم أشياء لم يكن ليتعلمها بالوعظ والكلام.

لقد ابتليت الدعوات في هذه الأيام بتسلط الظالمين المفسدين يؤُزّهم من ورائهم شياطين الإنس من كل ملة ودولة، بل إن المتتبع لما يجري على الساحة في أنحاء العالم الإسلامي ليجد تصميماً عجيباً على إقصاء الإسلام وإبعاده عن الفعل و التأثير ، ويقابل ذلك دعوات مخلصة ولكن مع تفرق في الصف الإسلامي وضعف في الأخذ بالسياسة الشرعية المناسبة لكل حدث ومعرفة سنن الله في التغيير.

وقد علّمتنا دروس التاريخ القديم والحديث أنه بعد الفتن و المحن يخرج أصناف من الناس إذا عرفنا توجهاتهم فلعلنا نخرج بأقل الخسائر.

هناك صنف من الناس سيصاب بإحباط شديد وبصدمة عنيفة ، فهو لم يتوقع أبداً ما يحدث ولم يُعد للأمر عدته ، ولم يتعود إلا على سماع الأخبار التي يحبها ، ذلك لأنه عاطفي خيالي ، فهو يرى أن دولة الإسلام قاب قوسين أو أدنى لما يرى من كثرة المقبلين على هذا الدين و لما سمع من أن الإسلام قادم (وهو قادم بإذن الله) ، هذا الصنف لا ينقصه الإخلاص ولكن تنقصه التجربة و الوعي العميق بتاريخ الدعوة وتاريخ الدول، وأسباب النجاح و الفشل .

وسيخرج صنف يفكر تفكيراً معوَّجاً ، سيقول : لا فائدة من الدعوة والعمل والكلام... ولا يحل المشكلة إلا القوة، فهذا في الظاهر شجاع ولكن في الحقيقة يقوم بعملية هروب ، ولكنه هروب إلى الأمام ! ، وهو صنف لا يملك في الغالب الفقه العلمي و العملي ، وتاريخنا الإسلامي في القديم و الحديث يعلمنا أنه قد نبتت نابتة مثل هذه عقب الفتن وعدم وضوح المنهج أو عندما لا تُدرأ الفتن بالسنن الربانية.

وصنف ثالث مخالف تماماً للصنف السابق ، إنه في الطرف الآخر، فهو يرى أنه لا داعي إلى التضحيات و العمل الدعوي والتعاون مع إخوانه في سبيل الحق ، فالقضية تحتاج إلى نفس طويل ، وعودة إلى الكتب والقراءة من جديد

والـفـكـر، والـحـوار، وعـدم العنف (و الجهاد - عند هؤلاء - عنف !) ، وهذا الكلام ظاهره فيه شيء من الحق وباطنه الهروب من الاستمرار و المواجهة.
إن العودة للنقد الذاتي والتعمق في فهم أخطاء الماضي شيء طيب ، ولكن هـذا الصـنـف - مثل المرجئة - إنما يريد الهدوء وراحة البال .
وسـيـظـهر صنف رابع هو من أخطر هؤلاء ، هذا الصنف كان يكتم حب الظهور والرئاسة لأن الوقت غـير مناسب أو كان مندساً بين الصفوف ، وقد لاحت الآن الفرصة ليتقرب من أصحاب الشأن ، ويقدموا له فتات الموائد، وإن من فوائد المحن وحِكم الابتلاء ظهور مثل هذا الصنف حتى تتمحص الصفوف ويُعرف الكاذب الدعي من الصادق المخلص .
سيبقى أعداد كـثـيـرة - بإذن الله - على الـحق سائرون ، لا يضرهم ضعف أو تخاذل أو إظهار الشماتة والحقد، ونقول للذين تسرب اليـأس إلـى قـلـوبهم : إن هذا الأمر لايتم إلا بالصبر والمصابرة والرجاء بنصر الله ووعده الأكيد، ومن أكبر أسباب الظفر ذكر الله والثقة به ؛ قال -تعالى-: ((واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))[الجمعة:10] ، قال المفسرون: "وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يـكـون قـلـباً ، وأكثر ما يكون هماً وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك" ، ومن أكبر أسباب الظفر معرفة سـنـن الله في التغيير، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر ؛ لأن أعداءهم لا يفقهون ((وإن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الَذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ))[الأنفال:65] وهذا يعني أنه من المفروض على المسلمين فـقـه أسـبـاب النصر والاستعداد له من الناحية المعنوية والمادية، وقد جاء في القرآن عـلـى لسان موسى - عـلـيـه الـسـلام - عـنـدما أراد أن ينقذ قومه من بطش فرعون ((قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ واصْبِرُوا إنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) [الأعراف:128] ، فـهـذه الأرض لله وليست رهن تصرف الظالمين وأنها تدوم لهم بل سنة الله أن يسلبها منهم عـنـدمـا يتقـي المؤمـن أسباب الضعف والهلاك ، واليأس من روح الله ويتقي التخاذل والتنازع ، ويعمل بضدها من الأخلاق الإسلامية من الاستعانة بالله والصبر على المكاره ، ويتفقه بسنن الله في التغيير وتأثير العقيدة والاجتماع للتمكين في الأرض .

---

علماء الاجتماع والعداء للدين وللصحوة الإسلامية (3)

## المتديّنون والمرض العقلي

د.أحمد إبراهيم خضر

عرضنا في الـحلقة الماضية للاعترافات الصريحة لعلماء الاجتماع في بلادنا عن فشل وإخفاق التحليلات والتـفـسـيرات الماركسية عن الصحوة الإسلامية كقولهم بارتباط الدين بالتراجع والتقهقر، وارتباط الـعـقـلانـيـة بالـصـعـود

والتطور، وقولهم بزوال ما يسمونه برجل الدين بسبب القدوم المظفر والمنتصر لرجل التقـنـيـة، وقـولهـم بـأن الصحوة الإسلامية نتجت عن عدم نضوج التركيبة الطبقية العربية ثم اعترافهم بأن نظريـة الصـراع الـطـبقي مسؤولة عن الـدمـار الذي يتخبطون فيه ، واعترافهم كذلك بعدم ارتباط ظهور الجماعات الإسـلامـيـة بانحطاط وتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية أو تطورها.
ونتناول فـي هـذه الحلـقـة قضية اتهام رجال الاجتماع لشباب الجماعات الإسلامية بأنهم مرضى عقليون ويمثلون شخصيات مريضة.
لرجال الاجتماع في بلادنـا مـقولات تثير الدهشة والاستغراب منها ما يدل على دهاء ومكر شديدين كقول (عضيبات) الذي أشـرنا إلـيـه فـي الحلـقـة الماضية - بأن التيارات الوطنية والليبرالية واليسارية والقومية محاصَرة في مجتمعاتنا، وأن هـنـاك تضـيـيـقـاً على دعـاتها وتنظـيمـاتها، وأن الساحة شبه خالية أمام الحركات الدينية التي سيملأ فكرها وتنظيماتها الفراغ القائم . (1)
ومنها ما يـدل عـلـى سـطـحـيـة وسـذاجـة تفُوق الحد ، يقول سمير نعيم (أستاذ الاجتماع بجامعة عين شمس بالقاهرة) بأن الجماعات الإسـلامـيـة جزء من مخطط إمبريالي صهيوني تسانده قوى إقليمية ومحلية تهدف إلى ضرب التماسك الاجـتـمـاعـي وتفسيخ المجتمع من جهة وتكريس تخلفه تدعيماً لتبعيته من جهة أخرى . (2) رغم أن أبـسـط الـحـقائق تقول إنـه لا خـطـر أشـد عـلـى الإمبريالية والصهيونية والقوى الإقليمية والمحلية من الصحـوة الإسلامية وحركاتها وجماعاتها.
وحقيقة الأمر أن الـموقف العدائي لرجال الاجتماع في بلادنا من الصحوة الإسلامية يرتبط ارتباطاً لا ينفصم بموقفهم العدائي من الدين.
الدين - كما يراه رجال الاجتماع في بلادنا - (وهم) و(خيبة أمل الزمن الراهن) و(رد فعل سلبي للضمير الجمعي) و(عصاب نفسي) و(مأوى لموت بطيء) ! . (3)
طالب رجال الاجـتـمـاع فـي بلادنا علناً وبلا حياء ترك الاعتقاد بالدين. يقول علي الكنز أستاذ الاجتماع بجامعة الجزائر : "قـبـل كـل شـيء علـيـنـا ترك الاعتقاد بالدين لأنه لم يبرهن على أن الدين أصبح بمثابة رؤية للعالم أو فهو وظـيـفـة عكـسـيـة للتطور الـتاريخي والاجتماعي" (4) أما هؤلاء الذين يدخلون في دين الله من خارج مجتمعاتـنـا - فـي الوقت الذي يخرج رجال الاجتماع منه - فهم في نظرهم أفراد منعزلون ولهذا فالإسلام عندهم لم يظـفـر بمسلمين جدد والصحوة الإسلامية بناءً على هذا التصور نوع من التراكم الـمـكـثـف للتجـربـة الإسـلامـيـة شـأنـهـا شــأن تـراكم رأس المال (5) . وكما أشرنا من قبل فإن أحد الأسباب الرئيسية لكراهية رجال الاجتماع فـي بـلادنـا للـصحوة الإسلامية هو رفض هذه الصحوة المفاهيم الجديدة

إجمالاً كمنظومة الحداثة ورفضها للـعـقـلانـيـة كـنـمـط للـتـفـكير وكـمشروع مجتمعي كما أشار إلى ذلك (الهرماسي) أستاذ الاجتماع بالجامعة التونسية الذي اعترف بفشل هذه المفاهيم في قوله : ".. لا لسبب إلا لأنها فشلت في بعض الميادين"(6).
هؤلاء الذين يقولون إن الجماعات الإسلامـيـة جزء من مخطط إمبريالي صهيوني ورموا هذه الجماعات بالتطرف اشتقوا تعريفاتهم للـتـطرف من كُتاب يهود كتبوها في قواميس ودوائر المعارف الفلسفية وأضفوا عليها الـطـابـع العلمي ، ولهذا كان التمسك والالتزام بالدين أو الـعـودة إلـيـه - كـمـا اعـتـبـره رجال الاجتماع العرب نقلاً من كتاب يهود مثل (روزنتال ويادين) - جموداً عقائدياً وانغلاقاً عقلياً . وهــذا هــو الـتطـرف عندهم الذي اعتقدوا أنه جوهر الفكر الذي تتمحور حوله كل الجماعات الإسلامية التـي هــي الآن وبـنـاءً على هذا التصور جماعات متطرفة.(7)
وطبقاً لتعريفات الكتاب اليهود عن التطرف فإن رجال الاجتماع في بلادنا يرون أن الشاب الذي لا يقبل معتقداً غير الإسلام والذي يعتقد أن الإسلام صادق صدقاً مطلقاً وأبـديـاً وأنه صـالـح لكل زمان ومكان وأنه لا مجال لمناقشته والبحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه ، هــذا الشـاب الـذي يرى أن المعرفة كلها بمختلف قضايا الكون لا تُستمد إلا من عقيدة الإسلام والذي يدين كل عقيدة تخالف عقيدة الإسلام هو (شاب متطرف) ! . ومن ثم كان الالتزام بالإسلام وتعاليمه تطرفاً لأنه - كما يرى سمير نعيم - حنين إلى الماضي وعودة إلى الوراء ، ومنحًى رجعي يجر العلاقات الاجتماعية إلى أوضاع بالية لا تتناسب مع تقدم العصر . هذا هو الإسلام في نظر رجال الاجتماع. (8)
أما الحجاب (الذي شرعه الله تعالى) والنقاب واللحى والجلابيب القصيرة (التي في بعضها اتقاء للفتنة والتزام بسـنـة رسـول - الله صلى الله عليه وسلم -) وكـذلك مـنـع الاختلاط والمناظرات بين الإسلام والنصرانية فهي عند - سمير نعيم - مظاهر سلوكية تـعـبـر عــن الـتـطـرف (9). لكـن الـتـبـرج وحلــق اللـحـيـة وارتداء الأزياء الأوربية بمختلف تقاليعها والاختلاط بين الرجال والنساء وسيادة النصرانـيــة وعبادة الصليب والتثليث على الإسلام فهي عين الاعتدال عنده.
أما أشد مقولات رجال الاجتماع إثارة للدهشة والاستغراب فهي وصفهم لشباب الجماعات الإسلامية بأنهم يمثلون شخصيات مريضة وأنهم مرضى عقليون يعانون من الجنون الدوري أو جنون الاضطهاد والعظمة على حد تعبيرات سمير نعيم ! . (10)
وتمسك هذا الشباب المتدين بتعاليم الإسلام المتعلقة بالمرأة - عند سمير نعيم - مرض عقلي يعاني أصحابه من أوهام حيوانية الرجل وشهوانيته تجاه المرأة وأنهم - أي هذا الشباب - يشكُّون في أنفسهم وفي الآخرين ، وأن

نظرتهم إلـى المرأة تُسقط ما في أنفسهم من مشاعر شهوانية مكبوتة ومشاعر دونية وعدم ثقة بالنفس . (11) بهذه الأوصاف الحادة والعنيفة ذات الطابع الفرويدي شن - سمير نعيم - هجومــه الـضاري على شـبـاب الجـمـاعــات الإسلامية الذين يريدون أن يحفظوا للمجتمع نقــاءه وطهارته ، وأن يقفوا في وجه تيارات خطف واغـتـصـاب النســاء وفـسـاد الـعـلاقــات بين الجنسين واعتبار المرأة سلعة للعرض والمشاهدة وإثارة المتعة على الأصعدة كافة من المنزل إلى الشارع إلى الإعلام إلى المجتمع.

إذن ما هو البديل عند رجال الاجتماع في بلادنا إذا لـم يـنـضـم الـشـبــاب إلى الجماعات الإسلامية ؟ .

هذه هي اعترافات سمير نعيم ذاته عن هذا البديل . يقول سمير نعيم : من ملاحظة الواقع الاجتماعي وما تنشره الصحف اليومية يتضح ما يأتي :

1- يلـجـأ الـبـعض إلى الهجرة إلى الخارج هروباً من الضغوط الاقتصادية والـمـشـكــلات الاجتماعية التي يعانونها، وهي بالطبع حلول فردية، ولكن من الثابت أنها غير متاحة لجميع قطاعات الشباب، فـالـفـقــراء منهم عـاجـزون حتى عن ذلك الحل الذي يتطلب اتصالات وعلاقات للحصول على عقد عمل في أحد الأقطار العربية ونفقات سفر لا تتوافر للجميع ، والبعض الآخر يظل يحلم بالهجرة كأمل زائف لمواجهة مشكلاته.

2- يلجأ البعض الآخر إلى ممارسة أعمال غير مشروعة كالاتجار في المخدرات أو في العملة والرشوة والتهرب .. الخ .

3- يلجأ فريق آخر إلى الجريمة التقليدية أو غير التقليدية حيث تنتشر سرقات المساكن والسيارات والمحلات التجارية والنصب والاحتيال والاغتصاب والاعتداء على الأراضي الزراعية وعلى أملاك الغير والدولة.. الخ.

4- يتجه آخرون إلى إدمان المخدرات كحل هروبي انسحابي للمشكلات التي يعانونها.

5- يصاب البعض - عندما يعجز عن كل من الحلول المشروعة وغير المشروعة نظراً إلى ما يتمتع به من قيم إيجابية قوية - بالاضطراب النفسي والعقلي وبالتالي فإن المجتمع المصري يشهد تزايداً في هذه الأمراض. (12)

تُعنى السطور السابقة باعتراف سمير نعيم أن البديل لانضمام الشباب إلى الجماعات الإسلامية هو الهجرة أو التفكير فيها أو ممارسة الأعمال غير المشروعة كالاتجار في المخدرات أو العملة أو الرشوة والتهريب أو ممارسة الجريمة التقليدية أو غير التقليدية أو إدمان للمخدرات.

ونقف قليلاً عند النقطة الخامسة التي تعتبر أيضاً من المقولات المثيرة للدهشة والعجب ، وهي القول بأن القيم الإيجابية القوية التي يتمتع بها الشباب يمكن أن تؤدي بهم إلى الإصابة بالاضطراب النفسي والعقلي حيث يريد سمير نعيم هنا أن يثبت أن شباب الجماعات الإسلامية الذي لم يلجأ إلى

السلوكيات اللاسوية ولجأ إلى الدين - مصاب باضطرابات نفسية وعقلية بسبب هذه القيم الإيجابية التي يتمسك بها لأن رغبة هذا الشباب في العودة إلى نموذج المجتمع الفاضل باللجوء إلى الدين ما هي إلا هروب من الواقع ورفض له وتعلق بأمل كاذب في الخلاص من المشكلات التي يواجهها. (13)
الخطأ الفادح الذي وقع فيه سمير نعيم هنا - وهو ربطه بين التمسك بالقيم الإيجابية والإصابة بالاضطرابات النفسية والعقلية طعناً في شباب الجماعات الإسلامية - كشف وشهد به عن أن معلوماته في علم النفس وتشخيص الاختلالات العقلية وقفت عند حدود الخمسمينيات . لم يطّلع سمير نعيم على جهود جمعية الطب النفسي الأمريكية (A.P.A.) التي بدأت منذ عام 1983 في محاولة طموحة مثيرة الجدل للإسراع بتطوير علوم وتشخيصات الأمراض العقلية لإعادة تنقيح كتيبها عن هذه الأمراض ، وقد أثمرت هذه الجهود بإصدار كتيب جديد في عام 1980 شارك في إعداده المئات من العلماء والمهنيين في ميدان الصحة العقلية. ويعرف هذا الكتيب (بالوجيز التشخيصي والإحصائي للأمراض العقلية - الطبعة الثالثة) ويشار إليه اختصاراً (D.S.M.111) . ويعتبر هذا الكتيب تطوراً عظيماً في حقل التصنيف والوصف العلمي لهذه الأمراض ، وكان له أكبر الأثر في علاج مختلف أنواع الاختلالات العقلية. الذي يهمنا في شأن هذا الكتيب - الذي لم يتابع سمير نعيم مراحل تطوره فاتهمَّ شباب الجماعات الإسلامية بالتطرف وبالاختلال العقلي - هو هذا الإسهام الذي اعتبره المختصون في هذا الميدان من أعظم اكتشافاتهم وهو (الفصل بين الأمراض العقلية والسلوكيات) تلك التي جدد منها الكتيب مباشرة وبوضوح (سلوكيات التطرف) التي يرى الكتيب أنها مشتقة من المعايير المجتمعية وليست ناتجة بالضرورة عن الأمراض العقلية. (14) فماذا عسى أن يقول سمير نعيم بعد ذلك ؟ .
نسجل بعد ذلك على سمير نعيم شهادته واعترافه بأصالة القيم التي يحملها شباب الجماعات الإسلامية، واعترافه أيضاً بأن التجاء هذا الشباب إلى الدين حماه من الدمار الشامل الذي أصيب به غيره من الشباب :
**أولاً**: يعترف سمير نعيم بأنه بالرغم من أن شباب الجماعات الإسلامية يعيش في مناطق تعاني من التخلف والفقر والحرمان من إشباع الحاجات الأساسية، وبالرغم من انسداد طرق الهجرة أمامهم لصغر سنهم وقلة خبرتهم وعجزهم عن توفير مصاريف السفر وعدم الحاجة إليهم في البلاد النفطية، وبالرغم من صعوبة إمكانية حدوث أي تغيير في أوضاعهم وأوضاع أسرهم وقراهم ،
وبالرغم من أنهم يخبرون الفقر والمعاناة طوال سِنِي حياتهم مع مشاهدتهم للتفاوت الهائل في حظوظ البشر في مصر واختلال توزيع الثروة بها لصالح الأغلبية الميسورة، بالرغم من كل ذلك فإن القيم التي يتمتع بها هذا الشباب منعته من الانخراط في الأعمال الإجرامية وغير المشروعة واللاأخلاقية .(15)

هذا ويحاول سمير نعيم جاهداً أن يربط بين انضمام الشباب إلى الجماعات الإسلامية وبين حالة الفقر والحرمان والمعاناة التي يواجهونها، ولما وجد أن افتراضاته ستسقط بوجود شباب ينتمي إلى أسر ميسورة الحال من بين شباب الجماعات الإسلامية فسر ذلك بقوله:"..وفي رأينا أن هؤلاء جميعاً - مهما ارتفعت دخولهم -فهم يعتبرون من ذوي الدخل المحدود (موظفي حكومة) ويعانون أيضاً الإحباط بفعل التضخم وارتفاع الأسعار والتطلعات الطبقية والاستهلاكية والتفاوت الاجتماعي الحاد" أي أنه أرجع انضمام هذا الشباب إلى الجماعات الإسلامية إلى تدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا ما أبطلناه في الحلقة الماضية. لكنه اعترف هنا مؤكداً أصالة القيم التي يتمتع بها هذا الشباب فقال : "..وامتناعهم عن مسايرة دروب الفساد المختلفة كالرشوة والاختلاس.. الخ استناداً إلى ما يتمتعون به من قيم أصيلة."(16) .

**ثانياً**: اعترف سمير نعيم بأن الالتجاء إلى الدين كأسلوب لمواجهة المشكلات الشخصية والمجتمعية دون غيره من الأساليب اللاسوية التي أشار إليها - هو حماية من الدمار الشامل.. يقول سمير نعيم : "إن اللجوء إلى هذا الأسلوب لمواجهة المشكلات الشخصية والمجتمعية دون غيره من الأساليب السابق ذكرها إنما هو - في رأينا - وسيلة دفاعية لحماية الذات من الدمار الشامل وذلك باللجوء إلى المخدرات أو الجريمة أو الجنون أو الفساد".(17)

إلا أن عداء سمير نعيم للدين جعله يصور التسلح بالتعاليم الدينية مصيدة دمار للشباب وللمجتمع (18) وجعله يرى أن المساجد تقوم بأدوار تضليلية.(19)

هذا وقد كشف رجال الاجتماع عن خشيتهم من أن يتسبب نمو وتعاظم التيار الإسلامي في مصر إلى أن تتحول مصر إلى مجتمع يسوده الطابع الإسلامي ، خاصة بعد أن لاحظوا تأثر العاملين المصريين وأبنائهم في السعودية بهذا الطابع الإسلامي الذي يحملونه معهم إلى مصر بعد عودتهم. هذا ، وعبر رجال الاجتماع عن عدائهم الصارخ لهذا الطابع الإسلامي على النحو التالي ، يقول سمير نعيم :

"ومن اللافت للنظر حقاً المقابلة بين اتجاه حركة التيار الإسلامي المتطرف أو حتى المعتدل في الفترتين ، ففي الفترة الأولى تحركت هذه الجماعات وتلك الاتجاهات إلى خارج مصر فهرب أعضاؤها أو لجأوا إلى أقطار عربية وبخاصة السعودية فاتسمت تلك المرحلة بطرد هذه التيارات. وفي الفترة الثانية تحركت هذه التيارات والجماعات من الخارج إلى الداخل فجاءت ومعها (أكثر التيارات رجعية وتطرفاً من تلك المناطق العربية) إلى داخل مصر فاتسمت هذه المرحلة بالغزو والتغلغل والجاذبية الداخلية" . (20)

ويعتبر رجال الاجتماع أن الطابع الإسلامي طابع غريب عن المجتمع المصري وليس أصيلاً فيه ، ولهذا فهم يخشون من تأثير الطابع الإسلامي الذي يحمله

العائدون المصريون وأبناؤهم منها على الأسر والأبناء الذين لم يذهبوا أصلاً إلى السعودية، فينتقل إليهم هذا الطابع عبر التداخل الأسري وتقديم النماذج السلوكية.
يقول سمير نعيم : "ومما لا شك فيه أن الآباء أنفسهم الذين يذهبون إلى الأقطار العربية يعودون وقد تشبعوا هم أنفسهم باتجاهات دينية كانت غريبة عنهم وعلى المجتمع المصري بما يتبع ذلك من نماذج سلوكية جديدة ولا تنعكس تأثيرات ذلك على أسر المهاجرين وحدهم بل تمتد لتشمل أسر غير المهاجرين أيضاً. ومن خلال ما يعقده أفراد الأسر الأخيرة من مقارنات بينهم وبين أفراد الأسر المهاجرة وما يقدم أعضاؤها من نماذج اتفاقية وسلوكية من جهة ومن خلال التداخل الأسري من جهة أخرى" .(21)
***يتبع***

**المصادر :**


1- عاطف العقلة عضيبات ، الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة ، بيروت ، 1990 ، ص155.
2- سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1990 ، ص98.
3- علي الكنز، الإسلام والهوية، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1990 ، ص98.
4- تابع ص105.
5- تابع ص91.
6- عبد الباقي الهرماسي ، علم الاجتماع الديني، المجال والمكاسب والتنازلات ، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990، ص30-31.
7- سمير نعيم ، تابع ص217.
8-13 تابع ص218-229.
14- Josef Julian and William Kamblum,Social Problems,Practice,Hell Inc.,New Jersy,1982,P48.
15- سمير نعيم ، تابع ص229 .
16-21 تابع ص230-237.


---

شعر

## إلى الحبيبة الغائبة

مصطفى بكري السيد

(1)

حبيبتي مشغولة بالحب والمحَار
حاضرة حاضرة بوجهها المُعار
منفيّة عن يومها وفجرها الجديد
مقهورة بوأدها في عشها البعيد

(2)

وكلما تدانت البروق والرعود
وأثقلت بغيمها وخصبها الموعود
وأوشك العشاق أن يجاوزوا الحدود
تسارعت معاول الظلام والوغود
وأذبلت أحلامهم تذابل الورود

(3)

حبيبتي تنافس الجمال والربيع
وترتدي لعرسها وحلمها البديع
ملابس القِيَان والإماء
وتترك الحرير والفراء
معلقاً بمشجب الزمان

(4)

حبيبك المولّه المحزون
يواجه الشكوك والظنون
تتابعت من عمره القرون
يعايش الهموم والصعاب
ويرقب النجوم والسحاب
ويرتجي من رحلة الغياب
أن يحتفي بعرسه وحلمه القديم
فوق تخوم المجد والهضاب

(5)

حبيبك لن يسأم الوعود
حبيبك لن يهجر الوجود
سيقهر الوشاة والأسود
وينثر الزهور والورود
لعرشك وعزك الموعود

---

في إشراقة آية

## ((وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ..))

يـقرر المتخـصصون في علوم الأحياء والسلوك ووظائف الأعضاء أنه - وفي كثير من الأحياء - يفـوق الإحـساس بـالألم جمـيـع الأحـاسـيس الأخرى، مثل الإحساس بالجوع والعطش والمتطلبات العضوية الأخرى.

بمـعنـى آخر ، أن هذه الأحياء قد يوقفها الألم عن طلب ما تسد به جوعها وعطشها حتى عند الضرورة، يقررون ذلك بناءً على عدد كبير من التجارب على حيوانات مختلفة وحتى الإنـسـان . وعـادة مـا تـتم هذه التجارب بوضع حاجز يسبب ألماً شديداً للكائن الحي عند محـاولـة اجتيازها للوصول إلى الطعام والشراب. فقد لوحظ أن كثيراً من هذه الأحياء تتردد كثيراً قبل اجتياز هذه الحواجز، وقسم كبير منها أدى به الجوع والعطش إلى محاولة هجر المكان تخلصاً من هذا الضغط العضوي ، وعند الفشل بمغادرة المكان ، قد يقرر الكائن الحي اجـتيـاز الحاجز وتحمل الألم في سبيل سد هذه الحاجة العضوية المهمة. في حين أن هناك قسماً من الأحياء تصل به عدم القدرة على تحمل الألم إلى الموت.

نفهم مـن هذا السلوك أمراً مهماً هو أن أي مطلب أو حالة عضوية تؤدي بالكائن الحي إلى تجـاهل أو تحمل الإحساس بالألم فلابد وأن يكون ذلك المطلب أو تلك الحالة العضوية من الـقـوة بحـيـث تـعطـل ، ولـو مؤقتاً، أو تقلل - على أفضل تقدير - إحساس الكائن الحي بالألم.

وفـي تجـربـة شـخـصية على عدد من الأحياء البحرية، وُجد أنها تتوقف تماماً عن تناول الغـذاء في حـالـة حـصـول عـطب شديد . أو لا عادي في الظروف المحيطة بالأحياء . وقد يـتوقـف الـكائـن الحي عن القيام بعدد غير قليل من الوظائف العضوية تؤدي به إلى الموت التدريجي إذا زاد العطب والفساد في المحيط من حوله .

ونـظرة تفكـر فيما تقدم وفي قوله - تعالى - يصف حالاً مشابهاً لحال الأحياء التي تتجاوز مـرحلـة الإحساس بالألم للحصول على شيء أكثر أهمية، أو قل أكثر إلحاحاً، هو قوله - عـز مـن قـائـل - : ((فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ))[يوسف:31] ؛ إذ تشير الآية إلى واقـع حـــال تجـاوز فـيه الإحساس بمطلب معين (وهو هنا الانبهار برؤية النبي يوسف - عـليه الصلاة والسلام -) الإحساس بألم قطع اليد، هذا الألم الذي يعرف الجميع ضرورة شـدتـه بـسبـب تركز خلايا الحس في هذا الجزء من الجسم . إذاً فقد أدى ذلك المؤثر إلى تـعطـيل إحـساس الـنسـوة بألم قـطـع السكين ولو جزئياً .. والواقعة - كما هي معروفة من الـقرآن فـي ســورة يوسف - تخبر عن مراودة امرأة العزيز لفتاها المملوك عن نفسه . تلك المـراودة الـتي خـطـط لها أحسن تخطيط وتحرز لها كل الحرز على أن تتم بدون علم بشر ((وغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وقَالَتْ هَيْتَ لَكَ))[23] ولكن خبر المراودة والمحاولة انكشف بإرادة الله واطلع عليه

مَن اطلع داخل البيت وخارجه . فطار الخبر للخارج - من غير جهة يوسف عليه السلام - بسرعة حتى أن نساء المدينة أصبحن يلُكن وينقلن الخبر في كل مكان ومجلس ((وقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُباً ))[30] ؛ حتى رجع الخبر إلى مصدره الأصلى الذي بُهت فيما يبدو من عظم ما يُحاك من مكر في الخارج ((فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ))[31]، وكأن حال لسان نسوة المدينة يقول إننا لا نجد لها عذراً ؛ فهي مَن هي مركزاً ومقاماً وجاهاً، وأنه لابد وأن يكون قد أصابها شيء إذ تفعل ذلك ((إنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ))[30] ، أي أننا لنستقبح منها ذلك الفعل ، فما كان من امرأة العزيز إلا أن صممت أن تجرب بهن نفس السلاح الذى عطل عندها أو أفقدها الإحساس بكل القيم العليا . وفيما يبدو من سياق الآيات الكريمة أن امرأة العزيز لم تزل قادرة على مراودة يوسف - عليه السلام - والخلوة به مع علم زوجها ، الذي كان قليل الغيرة أو عديمها، ولهذا لما اطلع على مراودتها أول مرة قال ((يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا واسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إنَّكِ كُنتِ مِنَ الخَاطِئِينَ))[29] ، فلم يعاقبها ولم يفرق بينهما، وهو كان له دور في تيسير دعوة يوسف للفاحشة من قبل نسوة المدينة. وكان أن كانت نتيجة التجربة أنهن قطعن أيديهن بسبب الرغبة الجنسية التي فاقت إحساسهن بالألم ، تلك الرغبة الجماعية منهن جميعاً والتي بيَّنها يوسف - عليه السلام - في قوله (تعالى) ((وَإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إلَيْهِنَّ))[33] ، وقوله ((ارْجِعْ إلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ))[50] ، فهن قد راودنه عن نفسه لأنفسهن ولامرأة العزيز ! سبحان الله ! ، إن رؤية الرجل الحسن مؤثر عظيم القوة عطل لدى المرأة الإحساس بالطهر والعفاف وكل معايير إكرام المثوى وحسن الضيافة وحفظ الزوج وحقوقه. هل يبقى شك بعد هذه الآيات بخطورة الاختلاط وعدم غض البصر ؟ هل يبقى بعد هذا تساؤل عن المقصود من قوله - تعالى - : ((وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ))[ ال\نور:31] ، أو قوله ((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ))[النور:30] ، أو قوله - عز من قائل عليم -: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وبَنَاتِكَ ونِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ))[الأحزاب:59].

ومن فوائد هذه الآيات من سورة يوسف أن الله - تعالى - يروي للأمة تفاصيل قصة حصلت في السر أو هكذا خُطط لها بصورة فردية أعقبها فتنة عظيمة على مستوى نساء المدينة وبصورة علنية وعامة. وقد بلغت السرية كمالها عند إغلاق الأبواب والتي كانت سبعة أبواب (القرطبي) ، حيث الإرادة أن يتم المنكر معها وحدها، لكن إرادة الله شاءت أن يطلع على ذلك الشهود وزوجها ونساء المدينة وكأنه - تعالى - أراد لهذا الدرس عنواناً

آخر هو أن مَن يهتك الستر الذي بينه وبين الله يهتك الله السر الذي بينه وبين الناس وأن من يتقِ الله يجعل له مخرجاً .
هذا ليعلم أن الفتنة والمكر قد يبدأ بصورة فردية أو حالة سرية هنا وأخرى هناك أو تساهل في مسألة ومسامحة في أخرى، ولكن شر الفتنة لابد أن يعم المجتمع جُله إما بصورته المباشرة، كما هو في كثير من المجتمعات متمثلة بانتشار الأمراض التي يعم شرها الصالح والطالح ، ذلك إذا لم يؤخذ على يد الفتنة والمكر من أوله وحال حدوثه ، والضابط في ذلك كله الشرع الإسلامي.
ومن الفوائد الأخرى ملاحظة خطورة إهمال البيوت والمجتمعات مما يجلبه الاختلاط والسفور والتبرج من فتن يمكن أن تعصف بالمجتمعات المسلمة، فإنه من باب تشابه الميول والطبع بين النساء كما فطرهن الخالق كذلك ، فإن ترك باب الاختلاط والفتنة مفتوحاً على مصراعيه وإهمال الضوابط الشرعية في ذلك سيكون له - كما كان الحال مع امرأة العزيز - ردود فعل قد لا يسلم منها كثير من نساء ورجال المجتمع المسلم مما يودي إلى انتشار ما لا يحمد عقباه من أمور تضيع الدين وتخل ببنيان وحدات بناء المجتمع.
وكطباع الصالحين الذين وقاهم الله السيئات ، فإن يوسف - عليه السلام - عندما تعرض للفتنة، فإنه اندفع ليهجر مكان الفتنة لينجو بدينه وعفته. ونستفيد من ذلك درساً عظيماً هو أن هجر المكان الذي يشاع ويظهر فيه الفساد - خصوصاً عند عدم القدرة على ردها أو اصلاحها أو إنكارها عملياً - قد يكون واجباً بحق الكثير منا . على أن هجر المنكر وداره ليس دائماً مستطاعاً للجميع ؛ فإن الطواغيت غالباً ما تلجأ إلى سد المنافذ ((قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[25] .
أليس هذا ما يعمله طواغيت اليوم بالصالحين من سد منافذ الهجرة وفتح أبواب السجون وسد الأفواه والعيون بالأموال والآمال. وأما مَن لم يستبق الباب - وهو قادر على ذلك ورضي أن يكون في مكان السوء والفحشاء واطمئن من غير أن يحرك ساكناً وهو قادر على ذلك - فأخشى أن يكون ممن قال فيهم خالقهم ((إنَّ الَذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً))[النساء:97] . ولكن حسبنا الله ، فحتى من يملك القوة على الهجرة قد سد الطغاة في الأماكن الأخرى أبواب أرض الله الواسعة فسُقط في أيدي الكثير من الصالحين وإلله المستعان .
ثم إن أساليب الطغاة تتجدد ولا تتبدل . فإن نبي الله يوسف - عليه السلام - لما أنجاه الله من الفتنة الأولى وأظهر طهره وبراءته نصبوا له فخاً آخر

أشد قوة ومعه التهديد بأن يكون من الصاغرين ، فما كان منه -عليه السلام - إلا أن قدم نفسه للسجن ((رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ))[33] . وكانت له المكافأة هناك في السجن حيث قيض الله - تعالى - له جواً مناسباً للدعوة وإيصال دين الله لمن لم يمكن له - لولا السجن - طريقاً للوصول إليه. ذلك ليعلم طواغيت اليوم أن تكميم أفواه الدعاة أمر مستحيل حتى داخل الزنزانات والحديد. ولنا في أئمة الإسلام - بعد رسل الله - أسوة حسنة.

وعودة إلى نبي الله يوسف نلاحظ أنه - عليه الصلاة والسلام - قد حقق كل مراحل الهجرة ، فقد هجر الكفر ((إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ))[37] وهجر الكبائر ((قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ))[23] وهجر الصغائر ((قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ))[92] .

وفائدة عظيمة أخرى أن وعد الله متحقق بأن يجعل لمن يتقيه رزقاً من حيث لا يحتسب ؛ فهذه براءة يوسف - عليه السلام - تأتي من عدة وجوه وطرق : فيشهد له خالقه أولاً أنه من عباده المخلَصين وأنه صرف عنه السوء، ويشهد شاهد من أهلها، وتشهد نسوة المدينة، ويشهد الملك فيما بعد وفيما قبل ، ثم هي تشهد ببراءة ونزاهة نبي الله. فقد سخر الله هذه الجنود لتقدم دليلاً تلو الآخر على حفظ الله لنبيه وعباده الصالحين عموماً ((ومَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ))[المدثر:31] ، ذلك إذا علم الله منهم صدق القلوب ثم كان التمكين في الأرض لدين الله وعباده وهي الجائزة التي يرجوها كل مَن يشري مرضاة الله ...

---

أخلاق

# أثر العقيدة في توجيه السلوك والأخلاق

محمد الناصر

إ\ن الإيمان الصادق يصنع الأعاجيب ، فمتى استقر في القلب ظهرت آثاره واضحة في المعاملة والسلوك.

"والإسلام عقيدة متحركة لا تطيق السلبية ؛ إذ إنها بمجرد تحققها في عالم الشعور، تتحرك لتحقق مدلولها في الخارج وتترجم نفسها إلى حركة وإلى عمل في عالم الواقع".(1)

والمسلم إذا تمكنت العقيدة من نفسه تبرأ من المشركين وما هم عليه من عقائد وأفعال وسلوك ، وإذ تخرّج على التربية الإيمانية نموذج فريد من

الرعيل الأول ، كانوا قمماً شامخة ؛ ارتفعوا فوق جواذب الجاهلية ومفاتن الدنيا وما فيها من مغريات .
وسارت الأجيال المسلمة تنهل من التربية المثلى الـتي غـرسها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن الأخلاق الفاضلة التي لم تـتغـير مـن فرد إلى فرد، ولا من مجتمع إلى آخر بل هي قيم ثابتة تزداد ثباتاً كلما مرت الإنسانية في تجاربها خلال هذه الحياة.
وهي أخلاق متكاملة تحتضن جميع الفضائل والأعمال الخيرة لصالح الفرد والمجتمع وني جميع لا الميادين .(2)
وقد يتساءل البعض قائلاً :
ما علاقة العقيدة بالأخلاق ؟ ألا يمكن أن يكون للناس أخلاق طـيبـة بـلا عـقيـدة ؟! ، نعم ، قد يوجد أخلاق عالية مُثلى كانت عند عرب الجاهلية وعند المجتمعات غيـر المـسلـمـة أحـيانـاً ولـكـن هـذا سبـبه أن الـنفـس تحتجز رصيدها الخلْقي بحكم العادة والتقليد أمداً طويلاً، بعد أن تكون قد فقدت الإيمان كـجـزء من العقيدة ؟.. وقد تحتجزه فترة على وعي منفصلاً عن العقيدة، على أنه شيء ينبغي في ذاته أن يقوم.
ولكن النتيجة الحتمية واحدة في النهاية..
إنه ما دامت العقيدة قد انحرفت فلا بد أن تنحرف الأخلاق أخيراً وما دامت الأخلاق قد انفصلت عن العقيدة فلا بد أن تموت. وإن هؤلاء المخـدوعـين - حسـبوا بـتأثـير الجـاهلـية - أن التصورات قد تنحرف ثم يستقيم السلوك.
إن هذا وهم من أوهام الجاهلية، لأن هؤلاء الناس قد ضُلّلوا عن حقيقة الشر الذي يـعيـشون فيه.. وأن الحياة البشرية ذاتها مهددة بالدمار من ضخامة هذا الشر وعنفوانه ومن ضخامة تمكّنه من الحياة الواقعية للناس.(3)
وغاية المسلم الأساسية في أخلاقه ، أن يحقق مرضاة ربه ، ذلك أن هدف المـؤمـن الأول من أعماله كلها هو ابتغاء وجه الله - جل وعلا - فقد أمره - سبحانه وتعالى - بذلك ، وعده بالجزاء الأوفى على أعماله الخيرة يوم القيامة.
قـال-تـعالى-: ((فَـمَن يَـعْمَـلْ مِـثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَـيْراً يَـرَهُ * ومَـن يَـعْمَـلْ مِـثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ)) [الزلزلة:7-8] .
كما أن المسلم يحقق سعادته في الدنيا ؛ يقول - تعالى - : ((وَعَدَ اللَّهُ الَذِيـنَ آمَـنُوا مِـنكُـمْ وعَـمِلـُوا الصَّالِحَـاتِ لَيَـسْتَخْـلِفَـنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَذِي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً))[النور:55] .
فالسرور ثمرة عملية لمن يتحلى بالأخـلاق الفـاضـلـة ، والطـمأنينة القلبية والشعور بخيرية الذات وخيرية المصير من ثمرات الانسجام بين الإيمان والأخـلاق وذلـك نـتيـجة طبـيعـية ؛ لأن الإنـسـان عـنـدمــا يتصرف بمقتضى

عقيدته - فيؤدي الواجبات كما ينبغي أداؤها ويتجنب المحرمات - يشعر بأنه إنسان خيِّر قوي الإرادة.
ومن يقرأ للملاحدة والكتاب الوجوديين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، يعلم مدى ما يعانون من الاضطراب النفسي والقلق والحيرة في أعماقي قلوبهم .
ذلك أن في طبيعة الحياة الإنـسـانـيـة جانـبـاً لا يُملأ إلا بالإحسان .. وكثيراً ما يدفع القلق هؤلاء الحيارى إلى محاولات الانتحار . (1)
وإذا تفحصنا العلاقات الاجتماعية في حياتنا الـمـعاصرة نجد أن الاضطراب في السلوك هو الظاهرة السائدة، وأن الابتعاد عن الاستقامة مما تـعـج به أكثر المجتمعات الحديثة، وهذا دليل واضح ومؤشر قوي على ابتعاد الناس - حتى كثير من المسلمين - عن صفاء عقيدتهم المؤثرة والتزامهم المنضبط بتوجيهاتها.

## سوء الخلق دليل على ضعف الإيمان :

ربط الإسلام بين الإيمان والسلوك ربطاً قوياً، ونلاحـظ ذلـك فـي نـصــوص كثيرة مثبتة في الكتاب والسنة .
ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" (5)
وقـولـه - صلـى الله عليه ومسلم - : "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً« . (6)
إن قرن الإيمان بحسن الخلق ، والسلوك الرفيع أمر يلفت النظر إلا أن كثيراً مـن المسلمين يهملون هذا الجانب أيامنا هذه مع الأسف الشديد.
فـبـيـنـمـا كان المسلمون الأوائل إذا سمعوا آية فيها تكليف سارعوا إلى تطبيقه ، وإذا نـزل تحريم لأمر انتهوا عند ذلك من صدق الإيمان وصلابة العقيدة..
وقد عرفـنـا من كتب السيرة في قضية تحريم الخمر، كيف أسرع المؤمنون إلى إراقة الخمور في شوارع المدينة المنورة .
وهنا سؤال مهم يطرح نفسه : وهو إذا كان للعقيدة هذا الدور الفعال في توجيه السلوك . فلماذا لا نرى ذلك الأثر في واقع المسلمين الآن ؟!
إننا نجد البون شاسعاً بين ما يدّعون من عقيدة وبين ما يسلكون ويتصرفون به في المعاملات والسلوك.
والحقـيـقـة : أن الـدعـوى شيء والإيمان الحقيقي شيء آخر ؛ إذ إن الإيمان حقيقة وكل حقيقة لها علامة، وعـلامــة الإيمان العمل به ، وإذا دخل الإيمان القلوب ، واستقر فيها نبضت بالحيوية، ودفعت النفوس إلى العمل بموجبها ..

وهؤلاء ممن ((يَقُولُونَ بَأَفْوَاهِـهِــم مَّـا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ))[آل عمران:167] ؛ لأن معيار صدق الإيمان هو العمل الصالح ، والإيمــان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل ، والاعتقاد الصحيح يدفع إلى السلوك الطيب. (7)
إن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيـمـان ، أو فقدانه ، فالرجل المعوج السلوك ، الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد (8) يصف الـرسـول - صلى الله عليه وسلم - حالـه بـأنـه بعيد عن الإيمان بعيد عن الحياء ، يقول - عليه الصلاة والسلام - : »والله لا يؤمن والله لا يـؤمـن والله لا يؤمن ، قيل : مَن يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه«(9) ويقــول - صلى الله علـيـه وسـلـم - تقريراً لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم : "ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال: إني مسلم!، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان" رواه مسلم.
لقد أصبحت الشكوى مريرة لـمـا أصاب الناس في العصور المتأخرة من انهيار في الأخلاق ، واضطراب في الموازين ، فالجار يـشـكـو جــاره ، والأمـانـة ضاعت بين الناس ، والمراوغة راجت سوقها، والتعلق بمتاع الدنيا فاق كل القيم عند كـثـيـر من البشر، وإنه لخطر عظيم ينذر بالشرور والفوضى، وإن ذلك لدلالة واضحة على فساد الـتـصـور وضـعـف الإيـمـان ، فظهر بسبب ذلك انفصام نكد وازدواجية بين مفهوم الإيمان ومقتضياته.
ومن هنا يلزم الدعاة والمربين أن يتنبهوا لهذا الخطر، وأن يبينوا للناس حقيقة ما هم فيه، وأن الإيمان الصادق لا يعني حفظ بعض المتون في العقيدة أو حتى تعلُّمها إذا لم يتمثل المرء أخلاقياتها..
لابد من تمثل العقيدة وتشرُّبها، وأن تتحول إلى واقع عملي في الحياة والتعامل بين الأنام.. تأسياً بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين تحولوا إلى نماذج فريدة سلوكاً وإخلاصاً وطهراً .

**الهوامش :**

1- في ظلال القرآن :4/2525.
2- انظر : كتاب "التربية الأخلاقية الإسلامية" ، د.مقداد يالجن ، ص88-90.
3- جاهلية القرن العشرين ، الأستاذ محمد قطب ، ص94-95 وما بعدها .
4- انظر الاتجاه الأخلاقي في الإسلام : د.مقداد يالجن (الصفحات : 79،121،328).
5- هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخارى : 2/155.
6- صحيح : المستدرك للحاكم النيسابوري 1/53.
7- التربية الأخلاقية الإسلامية : ص184-185.
8- انظر : "خلق المسلم" ، محمد الغزالي ، ص14-18.
9- رواه البخاري .

خواطر في الدعوة

## مَن لهذه المنابر ؟

محمد العبدة

رغم الأهمية البالغة لخطبة الجمعة والتي يحضرها المسلمون أسبوعياً ، في أعداد لا تجتمع في غير هذه المناسبة ، بل يتمنى أعداء الإسلام جمع عُشر مثل هذا العدد لينفثوا أباطيلهم ، رغم هذا فإنها لم تُعْطَ العناية الـكـافـيــة من الدعاة : ما هو الأسلوب الأمثل في مخاطبة الناس ؟ ما هي المواضيع المناسبة ؟ وكيف نـرقـى بالناس إلى فهم دينهم فهماً واعياً؟ كيف نقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً؟ كيف نعالج مـشـكــلات حياتهم؟ كل هذا يجب أن يبحث ويكتب فيه ، فإن غالب الخطباء إما أن يتكلم بعواطـف فـائـرة دون تبليغ فكرة أو معالجة مـشـكلة معينة، أو تكون خطبة هادئة جداً تصل إلى درجة البـرود، ومـع ذلك فــإن هــذا الصنف يفتقر غالباً إلى المادة العلمية القوية.

ومن الظواهر الجلية في الدعوة الإسلامية في هذا العصر أن الخطباء الذين يملكون الحنجرة القوية والـكلمات الطنانة الفضفاضة، استطاعوا صياغة شخصيات كثير من أصحاب النوايا الطيبة في الـعـمـل للإسلام ، وكثير من الشباب المتحمس للدعوة. فأصبحت جموع كثيرة لا تحب التفكير الهــادئ الـمتزن ولا تحب التعمق في فهم المشاكل والصعوبات ، ويكفيها أن تعيش على أحلام الخطب الحماسية التي تشبع رغبتها.

نحن لا ننقص من قدر العـاطـفة وأهمية حشد الجماهير ؛ فالرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما كان يخطب وكأنه مـنـذر جيش يقول : صبَّحكم مسَّاكم ، ولكننا نريد الجمع بين هذه الحماسة وبين تقديم العلم الـنـافـع والفكرة الصحيحة، حتى يجتمع لنا رأي عام بين صفوف المسلمين يؤيد الدعوة ويحبها ويدافع عنها، نريد الخطيب المفكر والخطيب المؤثر، نريد الذي يجتمع عنده أصناف الناس من متعلم وعالٍ وعامي ، والكل يرجع وقد استفاد من موعظة قلبية أو فكرة هادفة.

أليس عجيباً أنك إذا زرت مدينة عربـية لا تجد في كل المدينة إلا الخطيب أو الخطيبين، ممن يجتمع علية الناس؟ وتجمع خطبه بين العلم والعاطفة والتأثير القوي؟ .

هلاّ اعتبرنا بقول أحد زعماء الأحزاب التي تحارب الإسلام في بلادنا : "آه لو عندي مثل هذه المنابر"؟!

---

تراث

## تعددت الأساليب .. والعبث واحد !

محمد عبد الله آل شاكر

**(1)**

لا يزال الكلام موصولاً بما سبق في العددين السابقين عن بعض ألوان العبث بتراثنا. وإن مما يتصل بالتصرف في النصوص المحققة ونشرها، أن تجد ذلك مقروناً بخيانة الأمانة وسرقة جهود الناشرين والمحققين السابقين ، حيث يقوم ناشر جديد فيطبع بعض الكتب القديمة بطريقة التصوير عن الطبعة الأصلية ويحذف من الصورة اسم الناشر الأول أو المحقق أو اسم كليهما، وقد بذل كل منهما جهداً كبيراً في الحصول على الأصول الخطية التي طبع عنها الكتاب ، ثم قام بمقابلة مخطوطاته وضبط الكتاب وتفصيله.

وهذه الطريقة تضيع حقوق الآخرين وتنكر جهدهم ، فيُنسى فضلهم الذي سرقه المتاجرون بكتب العلم، الذين يأكلون حقوق الناس ظلماً فيجعلونه باباً من أبواب الرزق الحرام،ولكن الأثر يكون أكثر أهمية بالنسبة لتوثيق النصوص عند الباحثين والمعنيين بحركة النشر ومتابعتها..

وأنت واجد أمثلة كثيرة لهذا اللون من التزوير ؛ فقد كان الأستاذ حسام الدين القدسي - رحمه الله -وقف جهده وعلمه ومكتبته ، التي أنشأها في القاهرة بعد هجرته من بلاد الشام ، على تحقيق وطباعة كثير من الكتب الأمهات ، في الحديث وعلومه ، وفي اللغة والتاريخ والتراجم.. وتوفي القدسي ، ثم جاء تجار الكتب في بيروت ليعيدوا طباعة كتبه سرقة، وضنوا على صاحب الجهد الأول بإثبات اسمه أو اسم مكتبته على الكتاب ، فأصبحت تجد "مجمع الزوائد" للهيثمي - بأجزائه العشرة - وتحت عنوانه : "منشورات دار الكتاب العربي - بيروت جميع الحقوق محفوظة .." .

وبالطبع الحقوق محفوظة لغير أصحابها ، أي للسارقين ! درن اي إشارة إلى عمل القدسي حتى المقدمة التي قدم بها للكتاب ، وفيها وصف المخطوطة ليس فيها اسمه .

والحال نفسه بالنسبة لكتاب "شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب " لابن عماد الحنبلي - الذي طبعه القدسي أيضاً - وسرقته "دار إحياء الكتاب العربي في بيروت" بطبعات متوالية، ولم تكن "دار الكتب العلمية" أقل حظاً من غيرها في التزوير والادعاء، فهي تعيد طبع الكتاب وعلى صفحته الداخلية تحت العنوان تجد هذه العبارة من الطبعة السابقة وفيها إيهام للقارئ ، تقول مثلاً : "عن نسخة دار الكتب المصرية العامرة، مع إتمامها ومقابلة بعضها بنسخة كوبريلي محمد باشا بالأستانة" وهو ما تجده في كتاب "الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء" لابن عبد البر الذي نشره القدسي سابقاً ؛ فتظن أن دار الكتب العلمية أو صاحبها أو لجنة التحقيق فيها - قد قامت بجمع النسخ ومقابلتها حتى أخرجت الكتاب مقابلاً مصححاً ومفهرساً أيضاً !

وهكذا الحال أيضاً مع كتب الخانجي والحلبي والـسـاسـي الـمغربي ، التي طُبعت أولاً في مصر ثم عثر عليها الآخرون من الناشرين الجدد ! .

## (2)

وإن كان بعض الناشرين (السارقين) يبقون على اسم المحقق ، لـصـعـوبـة إخفائه ، نظراً لطبيعة العمل الذي فيه وعدم تصديق أحد أن الناشر الجديد يمكن أن يقــوم بما ليس من شأنه ؛ فإنهم يحذفون اسم الناشر الأول أو اسم المطبعة فحسب ، وأشرت إلـى أن هذا له أثره في عملية التوثيق ، فقد أخرج المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية كتباً كـثـيــرة منها "موطأ الإمام مالك ، رواية محمد بن الحسن" تعليق وتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف . ثم أعادت طبعه بالتصوير المكتبة العلمية، مع حذف اسم المجلس فأصبح الكتاب يُعرف بطبعة "المكتبة العلمية" ! .
وبهذا الأسلوب نفسه طبع "تفسير الطبري" بتحقيق محمود شاكر وتخريج أحمد شـاكــر، الـذي أخــرجـتــه دار المعارف بالقاهرة، وصدر الجزء الأول منه عام 1374 هـ ، وتوقف المشروع عند الـمـجـلــد الخامس عشر هذا الكتاب نشرته منذ عامين في القاهرة نفسها (على عينك يا تاجر !) مكـتـبـــة "ابن تيمية" (رحمة الله على ابن تيمية) مع حذف اسم الدار وإضافة عبارة "الناشر: مكـتـبـــة ابـن تيمية" وبذلك انتهى دور دار المعارف مشكورة غير مأزورة .
وليس هذا كل ما تجده من أمثلة، ولكن حسبنا هذه الإشارة التي تغني عن الإطالة ، وإلا فإن الأمر تجاوز الحد وعجزنا عن الـحـصــر، لـنـأخذ لوناً آخر من العبث الذي لا يجوز السكوت عليه بحال.

## (3)

يزداد الضرر أكثر عندما يقوم ناشر جديد، أو مـحـقـــق تـاجر، على طبع كتاب قديم بنصه وفصه ، مع حذف مقدمة التحقيق السابقة والإبقاء على الكتاب كما نشره المحقق الأول ، كما تجد في كتاب "إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأمــوال والـحـفـدة والـمـتــاع" لـلـمـقـريزي - الجزء الأول - الذي صححه وشرحه الشيخ أحمد شاكر، ونشرته لـجـنــة التأليف والـتـرجـمــة والنشر بالقاهرة، وفي صدره مقدمة للشيخ شاكر ثم كلمة لرئيس لجنة النشر.
هذا الكتاب أعيد تـصـويـره عـلـى نـفـقـة إدارة الـشـؤون الدينية بدولة قطر، وعلى غلافه عبارة:"عُني بنشره وطبعه : خادم العلم عبد الله إبراهـيـم الأنصـاري" . واستبدل مقدمته بمقدمة الشيخ شاكر - وليته لم يفعل - فأضاع على القارئ والباحث فائدة كبرى، يجنيها من معرفة أصل الكتاب والقسم الموجود فيه وطريقة عمل المحقق وجـهـده وما نبه عليه في مقدمته. وإن كان له فضل يشكر عليه في إشاعة الكتاب (رحمه الله) .

وقد يتجاوز بعضهم كثيراً ، فيسرق الكتاب مع حذف اسم المحقق والناشر والإبقاء على تعليقات وشرح الكتاب بنصها ؛ فقد طبع الشيخ منير الدمشقي كتاب "تجريد التوحيد المفيد" للمقريزي وعلق عليه الشيخ طه الزيني ، وأعادت طبعه مكتبة القاهرة، حتى جاءت "مكتبة السلام" فأعادت طبع الكتاب مع جل التعليقات والتخريجات وحذفت اسم "طه الزيني" مما يوهم أن العمل في الكتاب- تعليقاً وشرحاً- إنما هو للناشر الجديد.

## (4)

وقد يلجأ بعضهم إلى طريقة أخرى، يتظاهر فيها بالظرافة (فإن اللص الظريف لا تقطع يده ، كما يقولون) فيعمدون إلى إعادة تنضيد حروف الكتاب المحقق دون الحواشي أو الشروح ، فراراً من المساءلة والملاحقة ؛ لأن الحقوق محفوظة. وعندئذ يقع في أخطاء كثيرة فاحشة، تفسد المعنى وتغير الأحكام ؛ إذ يحتاج الكتاب إلى تصحيح دقيق من صاحبه أو من لجنة تصحيح ، وهذه الكتب المسروقة - وخاصة المراجع الكبيرة - من ذا الذي يقوم ويجاهد في تصحيحها؟!
فلو سقط حرف نفي مثلاً من العبارة أخل بالمعنى وجعل الحلال حراماً، فمثلاً "ولا يجوز بيع مطعوم ، مكيل أو موزون ، بجنسه إلا مثلاً بمثل" فسقط حرف النفي أو أداة الاستثناء .. هل تجد الكلام مستقيماً من الناحية الشرعية ؟.
وتعظم هذه المصيبة عندما ينتشر الكتاب بين أيدي الطلبة والمتفقهين الذين يتلقون علمهم عن الأوراق دون معلم ، ويقتنون هذه الكتب بأخطائها.
وتجد أمثلة على هذا في كتاب "الكافي" لابن عبد البر، وفي "منار السبيل" الذي طبعته مكتبة المعارف بالرياض بأخطاء كثيرة ، وفي كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير، أو "تفسير القرطبي" الذي لم يصور عن طبعة دار الكتب وإنما أعيد طبعه بشكل جديد في بيروت.

## (5)

ويتشبع بعضهم بما لا يملك ، فيلبس أثواباً من زور، وينسب لنفسه محمدة ليست له ، صراحة أو ضمناً ويندرج عمله تحت عموم قوله - تعالى - : ((لا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ويُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ العَذَابِ))[ آل عمران:188].
للحافظ ابن الجوزي كتاب "القواعد في الفقه الإسلامي" عثني فيه بجمع القواعد الفقهية العامة، وما بني عليها من الفروع الفقهية وهو كتاب قيم نفيس. وحتى يتم الانتفاع به بسهولة ينبغي وضع فهرس له يجمع مسائله مرتبة مبوبة وقد فعل ذلك الشيخ "جلال الدين نصر الله الحنبلي البغدادي" ، فصنع له فهرساً جمع فيه مسائل الكتاب مرتباً لها على أبواب الفقه ، حسب تشكل المسائل ومناسبة بعضها لبعض ، لا على ترتيب المؤلف ،

فصار الكتاب أداة طيبة تكشف للباحث سريعاً عما يريد. (انظر : الأموال ونظرية العقد ، د.محمد يوسف موسى ، ص58) .
وقد طُبع الكتاب بمصر طبعة جديدة عام 1392 هـ مكتبة الكليات الأزهـرية ومكتوب على جلده : "راجعه وقدم له وعلق عليه : طه عبد الرؤوف سعد - ولا يعـنـينا الآن التعليقات المزعومة -! وهذا الأمر يوحي بأن المحقق المعلق المراجع هــو الـذي صنع الفهرست الذي ألحــق بآخـر الكتاب ، كما اعتاده المحققون والمعلقون ، ولكن كل من عرف الـشـيـخ طــه وعمله في كتبه الأخرى أدرك الحقيقة وعرفها .
وأمـا الـطـريـقـة الـظـريـفـة أكثر فهي: أن يأتي أحدهم لكتاب محقق فيقرن اسمه مع اسم المحقق ثم يزاحمه حتى ينفرد وحده بالكتاب - اسماً - تحقيقاً ونشراً.
منذ عشر سنوات - فـي 1401 هـ - قرأت إعلاناً نشرته "مكتبة النهضة الحديثة بمكة" على بعض كتبها، تقول فيه : "ترقبوا صدور (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح) تأليف الحافظ الدمياطي (توفي سنة 613هـ) ، كتاب قيّم مفيد، يطبع لأول مرة عن نسخة مكتبة الأزهر المخطوطة. حققه وأشرف على طبعه جماعة من العلماء" انتهى الإعلان.
وكان الشيخ رضوان محمد رضوان قد طـبــع الـكـتـاب هذا في القاهرة منذ حوالي نصف قرن (وكان وكيلاً للجنة إحياء المعارف النعمانية بمصر، ويقـيـم في حي السيدة زينب بالقاهرة، وقد اهتديت إلى منزل إقامته منذ سنوات وعلمت بوفاته رحمــه الله)، وصدر الكتاب عن مكتبة النهضة عام 1403 هـ بمجلد ضخم ، وعلى جلده عـبــارة : "قرأه وأمر بطبعه عبد الملك بن دهيش - ابتغاء مرضاة الله" دون اسم رضوان محمد رضـــوان ، إلا أنـه نسي أن يحذفه من آخر صفحة في الكتاب ، ففيها : "بلغ مقابلة على نسخة رواق الأتراك بالأزهر الشريف.." ثم تحتها "رضوان" . (وهذا فسَّر جماعة من العلماء .. وبقي دليلاً على الصدق) .
ولم تنتهِ القصة بعدُ ؛ فإليك تمامها :
صدر الكتاب بطبعة تالية مكتوب عليها : "نسخه وضبطه وقابله : عبد الملك بن عبد الله بـن دهـيــش ، ورضوان محمد رضوان - من علماء الأزهر الشريف" (سبحان مَن يحـيــي الأموات ! يبدو أن رضوان قد أعاده الله - تعالى - حتى ينسخ ويحقق مع الشيخ من علماء الأزهر ! - وكلمة "يحقق" هذه من عندنا).
وتحمل الأيــام لـنــا طـبـعة أخرى أيضاً من الكتاب نفسه بشكله السابق - تصويراً أنيقاً - وعليه هذه العبارة : "تحقـيـق عبد الملك بن دهيش - ومحمد رضوان" (يبدو أن رضوان لم يحسن عمله فاستعان الشيخ بأبيه محمد)، وتحت ذلك : "مكتبة النهضة.. " وفي الداخل : "الطبعة الثالثة 1406 هـ ، طبعة

منقحة وتمتاز بزيادات مفيدة، وفيها مقدمة، في صفحة واحدة، كتبها "الفقير إلى عفو ربه عبد الملك بن عبد الله بن دهيش" وعلى الغلاف : "الناشر عبد الملك بن دهيش".
هذه خطوات متدرجة على طريقة سياسة الخطوة خطوة ((ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)) [الأنعام:142] ، فما أدري ما دلالة هذا التصرف بهذا الترتيب وهذه المراحل المتدرجة في العبث ؟ وهل يثير ذلك في ذهن القارئ شيئاً ؟!
وعلى كل حال : ليست هذه آخر الملاحظات ، فلا يزال هناك أمور أكثر خطورة ، والله المستعان.

---

---

# الإنسان بين العبادة والحضارة

د.نعمان عبد الرزَّاق السَّامَرَّائي

حضرت ندوة حول "المشاكل التربوية" في عالمنا المعاصر ، وقد وجدت الانقسام واضحاً ، فهذا يركز على الفرد، وذاك على المدرسة، وثالث على الإعلام ، ورابع على الوضع السياسي ، وخامس على الاستعمار، وسادس على الشيطان ...
كما وجدت البعض يقول بأن الحل معرفة العلوم الشرعية، وينادي آخر بتعلم العلوم كافة وهكذا .
وأريد أن أطرح سؤالاً ثم أنطلق منه ؛ إذ من المعروف أن الإنسان "مخلوق ثقافي غائي"، فهو منذ نعومة أظفاره يتساءل لماذا نفضل كذا ؟ لماذا نترك كذا ؟ .

## والسؤال : لماذا خُلق الإنسان ؟

1- هل صحيح ما قاله "ماركس" إن المبدأ الذي يحكم جميع العلاقات بين البشر هو إنتاج الوسائل التي يحددون حياتهم ، وبعد ذلك يأتى تبادل ما أنتجوا ، وأن الإنسان يعيش أولاً ثم يفكر بعد ذلك . والذي أريده "تحديداً" هل هذه النظرية كاشفة لواقع أم مقررة لحقيقة ابتداءً ؟؟
بمعنى آخر : هل نظر ماركس للإنسان في الغرب فوجده كذلك ، أم هي حقيقة توصِّل إليها عن طريق البحث والاستقصاء ؟
والأمر الآخر : لنفرض أن الإنسان إذا جاع أو عطش استبد به ذلك بحيث صار كل همه أن يصل إلى الطعام أو الشراب ، ولكن بعد أن يأكل أو يشرب ماذا يفعل ؟
هل يبحث عن قضايا واهتمامات جديدة أم يبقى محصوراً في دائرة "الإنتاج وتبادل ما أنتج" ؟
في العالم الرأسمالي الذي رآه - "ماركس" وعايشه - كان الإنسان والدولة والمجتمع إلى حد كبير مشغولاً بالإنتاج وتوزيعه ، حتى قال نيتشه :
"اجمع اجمع ذلكم هو الشريعة والقانون" أي اجمع المال فذلكم هو الهدف ،

من هنا صار "رأس المال" ديناً جديداً، حتى قال برنارد شو الفيلسوف الساخر : "إن الشعب البريطاني يعبد الله يوماً في الأسبوع ويعبد "بنك باركليز" ستة أيام" ! .
ومن هنا جاءت قناعة "ماركس" ، فهي مأخوذة من الواقع متأثرة به ، ولكن تلاميذ "بني التلمود" ينكرون ذلك ويعطون أفكار الرجل الشمولية ، علماً بأن مـاركــس يــرى أن الواقع ينطبع في ذهن الإنسان فتتحول الفكرة إلى مجرد صدى للواقع ليس إلا، وهكذا كانت أفكار ماركس صدى لما رآه وعاشه من تكالب استعماري وتطاحن حول ثروات الشعوب ونهبها .
2- هل نذهب مع سارتر فيلسوف الوجودية في عبثيته إذ يقول : "إنهم يكتشفون في وقت واحد، أن كل الأفعال الإنسانية سواء - وأنها بحتمية مبدئية - محكوم عليها بالفشل... وهكذا يستوي آخر الأمر أن أثمل بالشراب في وحدتي أو أن أقود الشعوب" .
أما صاحبته "سيمون دوبوفوار" فتشرح هذه الفكرة بقولها : افعلْ ما ينبغي لك ولـيـكــن ما يكون ! .
فهل الحياة مسرح لتمثيلية "عبثية" لا يعرف الكاتب ولا المشاهد الهدف منها ؟ .
3- هل نقول بأن الإنسان حيوان قد سبق "إخوانه " وهو لم يبتعد كثيراً عن الحيوانية في أهدافه وغاياته ، فهو يأكل ويتناسل ثم يموت ولا شيء بعد ذلك ولا فوق ذلك ؟
إن الإنسان مخلوق غائي ، خُلق لتحقيق أهداف كبرى يمكن ردها إلى :
1- عبادة الله - تعالى - كما أمر دون شرك ، والعبادة - كما هو معلوم - تطلق بإطلاقين:
فـمَـن يشتغل في بحث علمي أو رياضي أو أي عمل دنيوي يقصد به وجه الله فهو في سبيل الله.
2- العبادة بمعناها الخاص من صلاة وصيام وزكاة، وهذه أساسها النص الـصــريح ، وهي غير قابلة للتصرف بالزيادة أو النقص، أو التوجه لغير وجه الله (تعالى) .
- عمارة الأرض: فـقــــد ذكـر الله - تعالـى - فـي ســورة هــود ((هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ واسْـتَـعْـمَـرَكُمْ فِيهَا))[ هود:61] ؛ فـعـمــارة الأرض - كما يسميها ابن خلدون - هي إقامة الحضارة، وهي من مهمات الإنسان الأساسية الكبرى، وقـد قـام بـهـا الإنـسـان جيلاً بعد جيل ، وأمة بعد أمة، وكلما تعبت أمـة تـلـقـت الـرايـة أمة فتية، وتجد تضافرت جهود الأمم ، وراح اللاحق يبني على جهود سلفه ويزيد ويطور.

فمَن أراد العمران فعليه أن يتعلم علوم عصره كلها، حتى قال علماؤنا في "فروض الـكفـاية" أن الأمة كلها تصير آثمة إذا وجدت صنعة أو علم وليس في الأمة من يعرفه أو يمارسه.
أما العبادة - بالمعنى الخاص - فعلى صاحبها تحري النص الصحيح والاتباع والبـعـد عـن الغـلـو والابـتـداع ، فإن فعل ذلـك فـقـد حقق الأهداف التي من أجلها خلق وفاز في الدنيا والآخرة وذلك هو الفوز العظيم.
وللشهيد سيد قطب كلمة يقول فيها (1) "... لـقـد غـابـت الأمـة المسـلمة عن الوجود وعن الشهود دهراً طويلاً، وقد تولت قيادة البـشريـة أفـكـار وأمـم أخـرى وتـصـورات أخرى ، وأوضاع أخرى فترة طويلة ، وقد أبدعت العبقرية الأوربية في هذه الفترة رصيداً ضخماً من العلم والثقافة والأنظمة والإنتاج المادي ، وهو رصيد ضخم تقف البشرية عـلى ، ولا تفرط فيه ولا فيمن يمثله بسهولة، وبخاصة أن العالم الإسلامـي يـكاد يـكون عاطلاً من كل هذه الزينة... إن هذه الأمة لا تملك الآن وليس مطلوباً منها - أن تقدم للبشرية تفوقاً خارقاً في الإبداع المادي ، تحني له الرقاب ، ويفرض قيادتها العالمية من هذه الـزاويـة فالعـبقـرية الأوربـيـة سبـقته في هذا المضمار سبقاً واسعاً، وليس من المنتظر - خلال قرون على الأقل-التفوق المادي عليها، فلابد من مؤهل آخر، المؤهل الذي تفقده هذه الحضارة.
إن هذا لا يعـني أن نـهـمـل الإبـداع المـادي ، فمن واجبنا أن نحاول فيه جهدنا ولكن لا بوصفه المؤهل الذي نتقدم به لقيادة البـشريـة في المـرحـلـة الراهنة، وإنما بوصفه "ضرورة ذاتية" لوجودنا كذلك بوصفه واجباً يفرضه علينا "التصور الإسلامي" الذي ينوط بالإنسان خلافة الأرض ويجعلها تحت شروط خاصة عبادة لله وتحـقـيـقـاً لغاية الوجود الإنساني ، لابد إذن من مؤهل آخر لقيادة البشرية غير الإبداع المادي ولن يـكـون هـذا المـؤهـل سـوى "العقيدة" والمنهج الذي يسمح للبشرية أن تحـتـفـظ بـنـتاج العبقرية المادية، تحت إشراف العقـيدة والمـنهج في تجـمـع إنساني ، أي في مجتمع مسلم" .
ربما كان هذا الطرح المتـوازن للـقـضـية هـو خير الطروحات ، فلا نأخذ الحضارة الغربية ومفرزاتها كلها كما دعا بعض الأتراك وطـه حسـين ولا نـرفضها كلها ونستغني عنها ولكن نأخذ بقدر ونطرح بقدر عارفين ما نحتاج وما لا نحتاج .

## نحن وهذه الأهداف :

لقد مررنا بعدة مـواقـف من هذين الهدفين "العبادة والعمارة" يمـكن تـفصيلها على الوجه التالي :
1- في الجاهلية لم نكن نعبد الله ولا نساهم في الحضارة باستثناء ما قدمه أهل اليمن ومصر والعراق ، من مساهمات معمارية .

2- في الإسلام عبدنا الله حــق العبادة ثم رحنا نساهم في بناء الحضارة حتى حملنا الراية بجد وجدارة، وراح العالم يقـتـبــس منا وينقل عنا وقد شكا قسس ورهبان مر الشكوى من تعلُّم أبنائهم في الغرب لغتنا وعلومنا.
3- بعد قرون اكتفينا بالعبادة وأهـمـلـنـــــا الحضارة، وساهم التصوف والنكبات السياسية وغيرها في هذا التوجه ، ثم مع الأيام دخـــــل العبادة الكثير من الدَّخَن ، حتى لا نجد مسجداً كبيراً يخلو من قبور، وشاعت زيارة القـبــور والتبرك بها ودعوة أصحابها وطلب شفاعتهم ، وهكذا صرنا مبتدعين في العبادة مقلديـن فـي الحـضارة، وكان المطلوب العكس (الاتباع في العبادة والإبداع في الحضارة) .
4- لقد أهملنا الحضارة حتى لم تعد من بين همومنا ولا من تطلعاتنا . وضاقت دائرة العلم وراحت معاهدنا تضيق يوماً بعد يوم من العلوم المفيدة، والتي خلت من الإبداع ، تخلو من الجدة وتبعد عن الحياة.
5- أعقـــب ذلك مرحلة أهملنا حتى العبادة، فصار الفرد منا بعيداً عن معانيها (الواسعة والضيقة) ويكتفي أن يقال عنه إنه مسلم دون أن يتكلف شيئاً، وساعد على ذلك رواج فكر (المرجئة) حـتى صـــار جمهور الأمة منها دون أن يدعوه أحد، فكل مسلم يدَّعي أنه عامر القلب بالإيمان، وهذا في نظره يكفي، وقد يفلسف الأمر فيدعي طهارة القلب وعفة اللسان، وإنه أفضل من كثير ممن يمارس العبادة .
إن الأمة إذا كانت قوية تطلعت إلى الأمور الكبيرة، فـــإذا ضـعـفـــت تحاول فلسفة ضعفها وهزائمها ؛ لذا كانت أفكار "المرجئة" والمتصوفة أفضل فلسفة تناسب هذه المرحلة.
6- أخيراً وبعد الصحوة الإسلامية رجعنا للعبادة مرة ثانية، ولـكـــــن مازال جمهور الأمة غائباً عن الاهتمام بأمر الحضارة.
فـلـيـس من الحضارة أن تركب سيارة لا تعرف عنها سوى القيادة، وليس من الحضارة أن تأكل فواكه أمريكا وأوربا، ولكن أن تساهم في علوم العالم وصناعته ، وعلى رأس كل ذلك أن تساهم في تقديم فكر متميز ، لا يكون عالة على أحد ولا تبعاً لأحد.
يرى الـكـاتــب مالك بن نبي - رحمه الله - (2) أن لكل حضارة منتجاتها، فهي متولدة عنها، ولكن لا يمـكـــــن صنع حضارة بمجرد تبني منتجاتها ، فشراء ما تنتجه الحضارة الغربية من كل دول العالم لم يجعلها تكسب حضارة، فشراء المنتجات هو كسب وتحصيل للهيكل والجسد وليس للروح، والـحـضارة ليست تكديس منتجات بل هي فكر ومُثُل وقيم لابد من كسبها أو إنتاجها .
والأنكى من ذلك أن أمراض الحضارة يمكن أن تضرب أولئك الذين يتعاملون معها في الأخذ والاقـتـبـاس، فتطحنهم أمراضها قبل أن تصلهم خيراتها. ومن لا يصدق ذلك فما عليه الا أن يزور إفريقـية ليرى مصداق ذلك في أمراض

الجنس وتعاطي الخمور والمخدرات ، وعدم وصول شيء من حضارة الغرب إليهم.س
7- قد يقول البعض إنه يريد الآخرة،ويكفيه في ذلك العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة..
والجواب : نعم ، قد يصل المسلم الـجـنـــة عن هذا الطريق ، لكنه لن يكون له نصيب في الدنيا ولا في الحضارة، أو نصيب هامشي لا قـيـمـة له وبالمثل فإن الإنسان في الغرب يشكل الوجه الثاني (للعملة) فهو لا يعرف الله - تعالى - وإن عرفه فهو يفصل بينه وبين الحياة فالإنسان في الغرب جعل دينه (الحضارة) كما جـعـلـهــا كل شيء في حياته ، وقد قفز بها قفزات كبيرة، ولن يستطيع أحد تجاوز ذلك، أو جحوده، ولن تفرط البشرية في منجزاتها الحضارية، وأن حضارة اليوم تطلق قوى كـالــذرة قد تكون سبباً في دمار الحضارة والقضاء عليها، وما تلوث البيئة، والخراب الذي لحق بمـفـاعـل (تشرنوبيل) وانتشار الأمراض إلا ثمرة من ثمار هذه الحضارة إلى جانب المنجزات الكثيرة .
8- تبقى ألوف الملايين من البشر تدب على هذه الأرض لا تعرف الله تعالى ولا تعبده، ولا تـسـاهـــم في الحضارة من قريب أو من بعيد، وفيهم وفي أمثالهم يصدق قول الله - تعالى - ((أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ))[الأعراف: 179] وأقبح من الكل تلك الملايين من البشر التي تعجز حتى عن إطعام نفسها، وتطالب الآخرين أن يطعموها ويداووها ويبنوا لها المسكن .
في العالم اليوم ملايين من الكسالى ليس لديهم الاستعداد لعمل شيء، حـتـى الخـبـز تريده مبلولاً وربما مدهوناً وعليه سكر. والأمة الإسلامية مدعوة بكل جد وقوة لعبادة الله كـمـــا أمر،وعدم الشرك مهما صغر، وكذلك المساهمة في الحضارة دون أن تفلسف كسلها وعجزها وتخلفها .
إن العالم يموج بالأقوياء، ومَن لا يكون قوياً بفكره واستقلاله فإنه يعيش على الهامش، كما تعيش بعض القوارض ، وستظل الدنيا محكومة بالأقوى فكراً وإنتاجاً وتحضراً ، ولن يكون فيه مكان للكسالى المتواكلين ، ولن يجدوا "خبزاً مبلولاً" ولا سكناً جاهزاً ولا قبراً جاهزاً .

**الهوامش:**

1- معالم في الطريق ، ص8 ، طبعة10.
2- شروط النهضة ، ص42.

---

مقال

## درس من يوغوسلافيا

كـان دعـاة الـقومـية والعلمانية في أوائل هذا القرن يضغطون باتجاه إقامة نظام الدولة على أساس تجاهل النزعة الـديـنية، متخذين من ضعف الدولة العثمانية وفساد مؤسساتها أدلة على وجوب تنحية الدين أن يكون عاملاً له أهميته في بناء الدول وحياة الأمم.
ومن أبرز دعاة هذا الاتجاه ساطع الحصري الذي يشكل مجموع آرائه مرجعاً لدعاة القومية والعلمانية، وعلى الرغم من صيرورة مـعظـم هذه الآراء موضع شك من خلال التطبيق ؛ إلا أن القيمين الذين ورثوا آراء الحصري لا زالـوا فـي ضلالهم الـقديم ، ولـم تفدهم الحوادث ووقائع التاريخ الحديث عبرة، وهذا "مركز دراسات الـوحدة الـعربيـة" يشرف على إعادة طباعة مؤلفات ساطع الحصري تحت عنوان : "سلسلة التراث القومي" .
وهذا المركز على الرغم من أنه يعلن من جملة أهدافه أنه : "يهدف إلى ايصال نداء الوحدة للجماهير العربية والأوساط الفكرية على تعدد اتجاهاتها" - إلا أنه يتبنى الوجهة القومية والعلمانية التي كان يؤمن بها ساطع الحصري بحذافيرها، ولـم نـجـد لـه مـا يناقض ذلك سوى إحساس باهت بفشل كثير مما طرحه أنصار تلك الأفكار ؛ ولذلك فإنه تـبـنى إقـامـة عدة ندوات اشترك فيها أصحاب الاتجاه القومي والعلماني ومن انتقاهم ممن يتحدثون عن الإسلام وبالإسلام. ولكن المراجع لهذه المناقشات يـكتـشـف بسهـولـة ويـسر أين يقف هذا المركز وما هي الأفكار التي يروج لها.
وقد يظن ظان أننا ضد شيء يسمى الوحدة العربية، وهذا وهم يؤمن به من يجهل الحقيقة أو مـن يقصد تشويه السمعة والتلاعب بالعواطف. فإذا كان هناك فريق يـرى الاتحاد ونبذ الـفرقـة أصلاً مـن أصول العقـيـدة لا مـبدأً ثبت بالتجربة البشرية فائدته فقط فهم المسلمون ، ولكن الخلاف هو حول الأساس والرابطـة التي تـجـتمع عليها هذه الشعوب التي توالت على حكمها جهات مختلفة، فبينما يذكر القوميون عـناصر اختاروها ليؤكدوا على أهميتها ويتجاهلون الدين كعامل أساسي في هذا المجال ، بحجة أن الـدين يـفـرّق والقومية تجمّع ، وهذا القول يقصد به إهمال دين الأغلبية ، وتحييده أن يلعب دوره الـطبيعي في الحياة، وإلا فإن كثيراً من هؤلاء - مع إعلانهم وتـوكـيدهـم هـذه المزاعم - لا يهملون أديان الأقلية ، بل يُولُونها كل التقدير والاحترام ويعطونها ما لها ومـا لـيس لها مـن التـجـلة والتبجيل ، بل إن الهجوم القولي والعملي على ديـن الاغلبية يـصب في مـصلحتها وينعكس امتيازات وتقوية مركز لأتباعها.
واللوم لا يتوجه إلى أتباع أي دين أن ينصروا أهل دينهم ، ويـقـفـوا إلـى جانبهم في السراء والضراء - فهذا شيء طبيعي - ولكنه يتوجه إلى من يتنصل من دينه ويـنخـلع منه إرضاءً لمن يبقى في قرارة نفسه وفياً لمـبـادئـه يـنصـرها بالحق والباطل ، إن هذا الضرب من الناس يتحول إلى عدو شرس يذيق أبناء

جلدته المر، ويـسومـهـم أنواع النكال ولا يشفي غليله إلا أن يصبحوا مثله في إهمال دينهم والحملة عليه ، وكل ذلـك مـن أجـل إرضـاء (إخوانه في الوطنية !) فيغيظ الألوف المؤلفة ويقطع أواصره معهم من أجل حفنة يحرص عـلى رضـاهـا والحصول على ثقتها ، وليس بـقـادر على ذلك مهما فعل . هذا هو منطق القوميين الأعوج الذي يتجاهل التاريخ ، ويناقض الفطرة البشرية.
إن القوميين - في غلوائهم لإثـبـات آرائـهـم - يـدوسـون الحقـائـق ، ويغمضون أعينهم عن الوقائع الناطقة التي قد تخرس تكلفاً لا طبعاً، إن الإنسان ناطق بطبعه ، وقد يعرض له ما يعقل لسانه فيمنعه من الكلام ، فهو فـي هـذه الحـالـة أبكم لمن يراه ، ولكن الناظرين إليه يتمايزون فئتين :
فئة ترى أنه أبكم طبعاً .
وفئة ترى أنه كذلك لعارض عرض له.
وهذا هو مثل يوغوسلافيا . فقد رأى القوميون فيها نموذجـاً يـُحتـذى لإقـامـة الـدول على أساس قومي ، يقول ساطع الحصري : "إن هـذه الـدولة الجديدة اصطدمت في بادئ الأمر بمشاكل داخلية كبيرة ؛ لأن اختلاف التربية والـتقـاليد الإدارية والثـقـافـية التي سادت المقاطعات المذكورة منذ قررن عديدة - انضم إلى اختلاف الثقافة فأوجد نـزعـات إقـلـيميـة عرضت كيان الدولة إلى مخاطر جدية.
إن الكروات والسلوفن كانوا أرقى من الصرب من وجهة العلم والثقافة .
ولكن الصرب كانوا أرقى من هؤلاء من حيث التشكيلات الحكومية والتنظيمات العسكرية.
فكان من الطبيعي أن يحدث تنافس وتـنـازع بـين هـذيـن العنصرين لتولّي الحـكم وكان من الطبيعي أن تـتـعرض الـدولـة التي تـتـكون مـنهـما لأزمات خطيرة، ولكن الشعور بالوحدة القومية كان كفيلاً بالتغلب على هذه المشاكل كـلهـا وبـالقـضـاء عـلـى الـنزعـات الإقـليـمية بأجمعها.
وهذا ما حدث فعلاً : بعد زوال أزمات الحكم الأولى ، وتلاشي نزعات الإقليمية المختلفة، رأى القوم أن يتركوا الاسم المركب الأول ، وأن يـسمـوا الـدولـة بـاسـم مختصر يكون أكثر دلالة على الوحدة القومية مـن الاسـم الأول واخـتـاروا لذلك اسم (يوغوسلافيا) بالنسبة إلى اللغة التي تربط جميع العناصر بعضها ببعض ، والـدولـة اليوغوسلافية التي تأسست بهذه الصورة وبعد اجتياز مرحلة الولادة العسيرة - أصبحت متـحـدة ومـتمـاسـكـة بـكـل مـعنى الكلمة.
ومن المعلوم أن شدة هذا التماسك والاتحاد بهرت الأنظار وأدهشت الأذهـان خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها" . (1)
ونحن نرى هذا التحليل التاريخي الاجـتـمـاعـي لـقيـام يـوغوسلافيا قاصراً ولا يجيب على أسئلة تنبع من سياقه ، وهو تحليل أُحادي وليس شاملاً، وقد صِيغ بلغة تبشيرية (2) فهو يشير إلى اختلاف المذاهب ، وهذا يعني الاختلاف بين

الـصرب الأرثوذكس وبين الكروات والسلوفين الكاثوليك ، لكن ماذا عن الإسلام الموجود في يوغوسلافيا ؟
وهو يقول : "ولكن الشعور بالوحدة القومية كان كفيلاً بالتغلب على هـذه المـشاكـل كـلهـا، وبالقضاء على النزعات الإقليمية بأجمعها". هـل صـحيـح أن المـشاكـل كـلهـا والـنزعـات الإقليمية بأجمعها قد زالت من يوغوسلافيا بعد أن سُميت بهذا الاسم المختصر ؟!
وكذلك القول : إن الدولة اليوغوسلافية "أصبحت متحدة ومتماسكة بكل معنى الكلمة. ومن المعلوم أن شدة هذا الـتماسك والاتحاد بهرت الأنظار وأدهشت الأذهان خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها" .
فادعاء التماسك والاتحاد بكل مـعنـى الكـلمـة يأتي الواقع العملي اليوم ليكشف ما فيه من المجازفة والإصرار على الأوهام ، فحال يـوغوسلافيا لا تنبّئ بذلك بل بعكسه "بكل معنى الكلمة" وتكاد الأزمة الحالية تنجلي عن استحالة أن تـعـود أجزاء يوغوسلافيا إلى الالتئام ثانية .
وكذلك الاعتماد على ما حدث في يـوغـوسلافـيا خلال الحـرب العـالمية الثـانية ومـا بعدها كدليل على ثبات هذا الاتحاد .
فقد يتعاون الأعداء وأصحاب المصالح المـتعـارضـة مـن أجل دفـع عدو آخر، وهذا ما حدث عند الاحتلال النازي والفاشي ليوغوسلافيا ، تناسى هؤلاء الـيوغـوسلاف إحَنهم الداخلية المتأصلة لإخراج الغزاة من أرضهم ، لأنهم لا يمكنهم ذلك إلا بهذه الطريقة، وهذا يذكّرنا بحالة التحالف بين دول مختلفة لإخراج العراقيين مـن الكـويـت ، فلا أحد يدَّعي أن قوة ذلك التحالف هي نتيجة لـوجود وحـدة قـومية بين أعضائه في الماضي أو في الحاضر أو في المستقبل . هذا مـن جـهـة، ومن جهة أخرى فإن وجود شخـصيـة مهيمنة مثل "تيتو" قد غطى على هذه المشكلة . وإن ظن الكثير من المخدوعين وأصحاب الأفـكـار الآنية أنه حلها إلى الأبد ، وهذا الأمر له دلالة ثانية، فالكبت والقهر لا يقتلع المشاكل ، وإن بدت غائبة عن الأنظار بل يجمدها أو يجعلها تتوارى تحت السطح مثل الهوام وخـشـاش الأرض فـي مرحلة البيات الشتوي ، حتى إذا جاء "سعد الخبايا" وزالت العوائق خرجت الخبايا من الأرض لتتمتع بالدفء وتحيا حياتها الطبيعية من جديد.
إن الهدوء الذي كان يخيّم على يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثـانـية، وخـلال الحـكم الشيوعي في عهد تيتو لم يكن نهاية المطاف ، وإنما هو بَكَمٌ عارض وصمت مصطنع فرضته عوامل وقتية ، وقد زال بزوالها.

**الهوامش :**

1- ساطع الحصري ، محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، ص84.

2- كل ما كتبه ساطع الحصري متأثر بهذه اللغة التبشيرية ونعني بها اللغة التي تدعو الناس إلى اعتناق شيء من خلال إظهار محاسنه والحماسة في الحديث حوله ، مقابل الإهمال والتجاهل والاشمئزاز مما يراد لهم إهماله وتجاهله.

---

# تحزيب القرآن (2)

محمد بن عبد الله الدويش

وروى أبـو عـبـيد (277) وابن أبي شيبة (2/502) عن السائب بن يزيد أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن صـلاة طـلحة بـن عبـد الله فقال إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان قال نعم قال قلت لأغلبن الليلة على الحِجْر - يعني المقام - فقمت فلما قمت إذا أنا برجل متقمع يزحمني فنظرت فإذا عثمان بن عفـان فتـأخرت عـنه فـصـلى فـإذا هو سجد سجود القرآن حتى إذا قلت هذه هوادي الفجر أوتر بركعة لم يـصـلِّ غيـرهـا ثـم انـطـلق ، ولابن أبي شيبة (2/503) فتنحيت وتقدم فقرأ القرآن كله في ركـعـة ثـم انصرف. وصححه ابن كثير في فضائل القرآن (50) .

وأخرج أبو عبيد (278) وابن أبي شيبة (2/503،1/367) عن نائلة بنت الفرافصة الكلبية حين دخلوا على عثمان ليقتلوه فقالت : "إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيي الـليل بركعة يجمع فيها القرآن" وحسنه ابن كثير في فضائل القرآن (50).

وأخرج أبو عبيد أيضاً (279) وابن أبي شيبة (2/502) عن تميم الداري أنه قرأ القرآن في ركعة. وكذا أخرجا عن سعيد بن جبير أنه قرأ القرآن في ركعة فـي البيت وصححهما ابن كثير (50).

وأخرج أبو عبيد (281) والفريابي (140) عن علقمة أنه قرأ القرآن فـي ليلة طـاف بالبيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى عنده بالمِئِين،ثم طاف أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى عنده بالمئين، ثم طاف أسبوعاً ثم أتى المقـام فـصلـى عـنده فـقـرأ بـقيـة الـقرآن. وصححه ابن كثير (50) ورواه ابن أبي شيبة ( 2/503) مختصراً بلفظ أنه قرأ القرآن في ليلة بمكة.

وأخرج أبو عبيد (282) وابن أبي شيبة (3/502) عن سليم بن عتر التجيبي أنه كان يختم القرآن في الليلة ثلاث مرات.

ونـقل الـنـووي فـي التبيان والأذكار جملة من ذلك فقال في التبيان (46) "ومن الذين كانوا يختمون ثلاث خـتمـات سـليـم بـن عمر - رضي الله عنه - قاضي مصر في خلافة معاوية - رضي الله عنه - . وروى أبو بكر بن أبي داود أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات. قال الشيخ الصالح أبو عبد الرحمن السلمي - رضي الله عنه - : "سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يـقـول : كـان

ابـتن الكـاتـب - رضـي اللـه عـنه - يخـتم بالنهار أربع ختمات ، وهـذا أكـثر مـا بـلغنـا مـن الـيوم والليلة . وروى السيد الجليل أحمد الدروقي بإسناده عن منصور بن زادان مـن عـُباد الـتابـعـين - رضـي الله عـنه - أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ويختمه أيضاً فيما بين المغرب والعشاء في رمضان ختمتين ، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل ، وروى أبـو داود بـإسـناده الصحيح أن مجاهداً كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء وعن منصور قال كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان ، وعن إبراهيم بن سعد قال كان أبي يحتبي فيما يحل حبوته حتى يختم القرآن ، وأما الذي يختم في ركعة فلا يحصون لكثرتهم..." . (1)

## المسألة الخامسة : أقل ما يُختم فيه القرآن :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »لا يفقه مَن قرأ القرآن في أقل من ثلاث« . أخرجه أبو داود (1394) والترمذي (2950) والنسائي وابن ماجه (1347) وأحمد (2/164،165) وأبو عبيد وقال الترمذي : حسن صحيح . وصححه النووي في التبيان (ص48).
وأخرج أبو عبيد وابن أبي شيبة والمروزي عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه كان يكره "أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث" وصححه الحافظ ابن كثير .
وأخرج ابن أبي شيبة (2/502) عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : "اقرأوا القرآن في سبع ولا تقرأوه في ثلاث" وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي داود - كما في الفتوحات (231/3) - عنه (رضي الله عنه) أنه قال : "لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث" .وأخرج ابن أبي شيبة وأبو عبيد والطبراني في الكبير كما في المجمع (2/269) عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : "من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز". وقال أبو عبيد: "إلا أن الذي أختار من ذلك أن لا نقرأ القرآن في أقل من ثلاث للأحاديث التي ذكرناها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من الكراهة لذلك".
وقال النووي في التبيان (ص48): "وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة، ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث" وقال الحافظ ابن كثير : "وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث" كما هو مذهب أبي عبيدة وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضاً".
وقال شيخ الإسلام : "فالصحيح عندهم أنه أمره - عبد الله بن عمرو - ابتداءً بقراءته في الـشـهــــر، فجعل الحد ما بين الشهر إلى الأسبوع ..ولا يلزم إذا شرع فعل ذلك أحياناً - التثليث - لبعض الناس أن تكون المداومة على ذلك

مستحبة، ولهذا لم يُعلم من الصحابة على عـهــــده مَن دوام على ذلك ؛ أعني على قراءته دائماً فيما دون السبع ؛ ولهذا كان الإمام أحمد - رحمه الله - يقرؤه في كل سبع" .
أما ما نقل عن السلف مما ذكرنا طرفاً منه فقد اختلفت مسالك العلماء في الإجابة عليه ، فمنهم من حمل ذلك على أنه لم يبلغهم النهي ومنهم مَن رأى أنهم لم يحملوا الحديث على المنع من ذلك ، ومنهم مَن رأى أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص.
وها هنا أمور لعل بها يتضح وجه المسألة :
**أولاً** : أن ورود ذلك عن السلف والصحابة بوجه أخص لا يعني المداومة عليه ؛ خاصة أن الكثير ممن روي عنه ذلك - كعثمان وتميم وغيرهم - رُوي عنه أنه كان يختم في سبع ، بل قد نفى ذلك شيخ الإسلام -رحمه الله - وهو من أعلم الناس في مثل ذلك فقال : "ولهذا لم يعلم في الصحابة على عهده من دوام على ذلك أعني قراءته دائماً فيما دون السبع".
**ثانياً** : علل النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك بعلتين الأولى عدم الفقه ، والثانية قوله لعبد الله "فإن لزوجك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً" . فالرجل عليه مسؤولية تجاه أسرته ومنزله وضيفه وكذلك عليه الرفق بنفسه . وختم القرآن في أقل من ثلاث على حساب ذلك غالباً .
**ثالثاً** : يجب أن يربط ذلك بالنصوص الأخرى التي تحث على القصد والمقاربة "إن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة واعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله" . وفي رواية الإمام أحمد لحديث عبد الله بن عمرو ( 6477) :"فإن كل عابد شرّة ولكل شرة فترة ، فإما إلى سُنة وإما إلى بدعة، فمَن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك" .
**رابعاً** : أن خير الهدْي هديه - صلى الله عليه وسلم - وهو أعبد الناس وأخشاهم لله وقد غضب على الذين تقالُّوا عبادته ، وفي رواية أحمد لحديث عبد الله بن عمرو أنه قال له : »لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام ، وأمس النساء فمَن رغب عن سنتي فليس مني« وروى مسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : "ولا أعلم نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح ، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان" ونحن متعبدون باتباع سُنته وهديه . مع ما نكنّه في نـفــوســـنـا من تقدير وإكبار وإجلال لسلف الأمة . ولذلك قالت عائشة - رضي الله عنها - لما قيل لها إن رجالاً يقوم أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً - "قرأوا أو لم يقرأوا كنت أقوم مع رســــول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمر بآيـــة فيها استـبـشــــار إلا دعا ورغب

ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ" والحديث ذكره في الفتوحات (2/231) ونُـســب للحافظ أنه قال : "والحديث حسن أخرجه ابن أبي داود وأخرج أحمد المرفوع منه فقط" .

**خامساً** : هناك وظائف شرعية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وإصلاح الناس، والتي هي مــن فــــروض الكفاية ومن أفضل الأعمال الصالحة والأمة لا تستغني عن جهود أبنائها في ذلك . ففي التفرغ لتلاوة القرآن على هذا النحو تعطيل لهذه الوظائف خاصة في هذا العصر، وقد أشـــار النووي - رحمه الله - إلى شيء من ذلك حين قال في التبيان (ص48) : "وكذا مَن كان مـشـغــولاً بـنـشــر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له" .

**سادساً** : فـي مقابل هؤلاء الذين نقل عنهم الإكثار من ختم القرآن نقل عن غيرهم بل أكثر السلف التسبيع، فَلِمَ يكون رأي أولئك أَوْلى بالقبول من هؤلاء وهم أكثر وفعلهم يتأيد بالسنة الصحيحة عنه - صلى الله عليه وسلم - .

## المسألة السادسة : هل يكون التحزب بالسور أو الأجزاء ؟

عقد شيخ الإسلام ابـن تـيـمية لهذه المسألة فصلاً في الجزء الثالث عشر من مجموع الفتاوى ورأى أن التحزيب المشروع هو أن يكون بالسور للأمور الآتية :

1- أن الـمـنـقــــول عن الصحابة هو التحزيب بالسور لا بالأجزاء وذكر حديث أوس بن حذيفة، وقد سبق في أول البحث .

2- أن الأجزاء والأحزاب محـدثـة وفـيــه حديث أوس أنهم حزّبوه بالسور، وهذا معلوم بالتواتر فإنه قد علم أن أول ما جُزئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين ، وثلاثين ، وستين هذه الأجزاء التي تكون في أثناء السورة، وأثناء القصة ونحو ذلك كـان فـي زمـــن الحجاج وما بعده وروي أن الحجاج أمر بذلك. ومن العراق فشا ذلك ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك (13/409) .

3- أن هذه التحزيبات تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المـتـصــــل بما بعده حتى يتضمن الوقوف على المعطوف دون المعطوف عليه ، فيحصل القارئ في اليوم الثاني مبتدئاً بمعطوف كقوله - تعالى - : ((والْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ))[النساء:24] وقوله ((ومَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ ورَسُولِهِ))[الأحزاب:31] وأمثال ذلك ، ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض - حتى كلام المتخاطبين - حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب كقوله - تعالى -:((قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً))[الكهف: 72] ومثل هذا الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما

بأجنبي ، ولهذا لو ألحق بالكلام عطف أو استثناء ، أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبي لم يسغ ذلك بلا نزاع.
4- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كـان عـادتـه الـغـالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة كـ ( ق ) ونحـوها وكما كان عمر - رضي الله عـنه - يقرأ بيونس ويوسف والنحل .. وأما القراءة بأواخر السور وأواسطها فلم يكن غالباً عليهم .
وقال: "وإذا كان تحزيبه بالحروف إنما هو تقريب لا تحديد، كان ذلك من جنس تجزئته بالسور هو أيضاً تقريب،فإن بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض في الحروف وفي ذلك من الـمـصـلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض ، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما ختم به ، وتكميل المقصود من كل سورة ما ليس في ذلك التحزب. وفيه أيضاً من زوال المفاسد الذي في ذلك التحزيب ما تقدم التنبيه على بعضها".
وبعد هذه الوقفات السريعة أرى أنه لا يليق بشاب مسلم طالب للعلم ، يحمل بين كاهليه هم الإصلاح والتغيير ودعوة الناس - لا يليق به أن لا يكون له حزب من كتاب الله قل أو كثر . ومهما ادعى الإنسان المشاغل فهذه الدعوى تحتاج للبينة ولو أعطي الناس بدعواهم لادعى أقوام دماء أناس وأموالهم . وهذا دليل على قلة اهتمامه ، ومتى كانت تلاوة كتاب الله وإصلاح النفس وعبادة الله - عز وجل - مما لا يفعل إلا في وقت الفراغ .
ففي التحزيب تأسٍ بالسلف - رضوان الله عليهم - وفيه علاوة على ذلك تحقيق لهديه - صلى الله عليه وسلم- في المداومة على العمل الصالح فقد كان عمله دائماً، وكان يقول: "إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" .
وفيه أن الإنسان يُكتب له حزبه إذا شغله عنه مرض أو سفر.
وفيه أيضاً تعاهد القرآن كما أمر بذلك - صلى الله عليه وسلم - فعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : »تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها« .
وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقّلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت".

**الهوامش :**

1- لا شـك أن فـي ذلـك مـبـالـغـة وتساهلاً في التصحيح لعلة منطلق من باب التساهل في تصحيح أو تحسين الأحاديث في فضائل الأعمال وفي الترغيب والترهيب وراجع التعليلات بعد ذلك .

---

قصيدة

# قراءة في وجه امرأة شوهاء

د.عبد الرحمن العشماوي

بدتْ بوجهٍ قبيحِ اللونِ محروقِ ... وقد علتْ فيه أصواتُ المساحيقِ
وقد جرتْ فيه للأصباغِ معركةٌ ... عنيفةٌ واعتلى صوتُ "البطاريقِ"
لها فمٌ واسعُ الشدقين تملؤُهُ ... أسنانُ غُولٍ فلا تسألْ عنِ الرِّيقِ
ولا تَسَلْ عن جبينٍ بارزٍ رسمتْ ... فيه الخيانةُ تكذيبَ المواثيقِ
ولا تسلْ عن لسانٍ ساءَ منطقُه ... إذا تحدَّثَ ألغى صرخةَ البُوقِ
فصوتُها غُنَّةٌ شوهاءُ مؤذيةٌ ... كأنَّها قد أُصيبتْ بالخوانيقِ
رَنَتْ بعينينِ كالثقبينِ قد مُلِئَا ... غَدْراً ، وقد عَانتا من شدةِ الضيقِ
كأنما رُبطتْ أطرافُها ، فبدتْ ... كعَينِ إبليسَ في جفنٍ وفي موقِ
أهدابُها كغصونِ الشوكِ أظهرها ... فصلُ الخريفِ بلا ريٍّ وتزويقِ
بيضاءُ، لكنها سوداءُ قاتمةٌ ... لمَن يراها بعينٍ ذاتِ تدقيقِ
تمشي فتحسَبُ أنّ الخُبْثَ في جسدٍ ... يمشي أمامكَ مفتوحَ المغاليقِ
حديثُها كذبٌ محضٌ ، حقيقتُه ... مأخوذةٌ من أباطيلِ الغرانيقِ
تُباع في كلِّ سوقٍ للضلالِ ، فلا ... تسأل عن التاجرِ الكذابِ والسوقِ
ولا تتسلْ عن دنانيرٍ مزورةٍ ... وعن عقودٍ جرتْ من غير توثيقِ
وعن سماسرةٍ باعوا ضمائرَهم ... وذوَّبوا العقلَ في نارِ الأباريقِ
لها على منهجِ التضليلِ هَيْلَمَةٌ ... وهَيْلَمَانٌ ، وقولٌ غيرُ موثوقِ
خبيرةٌ في ادعاءِ العدلِ جاهدةٌ ... في وصْفِ آثارِهِ من غيرِ تطبيقِ
تُبدي خصالاً من الإيمانِ كاذبةً ... وفي مشاعرِها إحساسُ زنديقِ
سمعتُ عنها حديثَ العاشقين لها ... فاستفت عن عاشقٍ لاهٍ ومعشوقِ
أتيتُها فإذا همِّي يحاصرني ... كأنني طائرٌ في بطنِ صُندوقِ
يا هَمّ ، قاسمتَني ليلي سلكتَ إلى ... أعماقِ نفسي طريقاً غيرَ مطروقِ
مَن دَلَّ ركبَك ، مَن أعطاكَ تذكرةً ... على "خطوطِ" الأسى القاسي لتطويقي
مَن هذه المرأةُ الشوْهاءُ ، أحسِبُها ... وقد تراءتْ أمامي ، شرَّ مخلوقِ
بدتْ أمامي بسَمْتٍ لا نظيرَ له ... الوجهُ مستحدثٌ والعقلُ إغريقي
أجابني ساخراً مني : أتجهلُها ... هذي العظيمةُ ذاتُ الخيلِ والنُّوقِ
هذي التي تتغنى بالسلامِ ولا ... يهزُّها أن ترى مليونَ مسحوقِ
وتدعي أنها ترعى العبادَ ، وكم ... مُجَنْدَلٍ بين رجليْها ومخنوقِ
هذي التي يعرض الإعلامُ صورتَها ... فثوبُها أسودُ الأكمامِ والزِّيقِ
وبيتُها أبيضُ الجدرانِ ، كم عُقدتْ ... فيه اللقاءاتُ نقضاً للمواثيقِ
لها جواسيسُها في كل ناحيةٍ ... فلا تسلْ عن إشاراتٍ وتحديقِ
ولا تسل عن سُؤالاتٍ موجهةٍ ... إلى الضحايا وأوراقٍ وتحقيقِ
تغزو الفضاءَ غروراً، لا تريدُت به ... إلا التسابقَ في مَلْءِ الصناديقِ
هذي العظيمة - يا هذا - فألجمني ... صمتي ، وجفَّ لما أدركتُه ريقي

بَرِئتُ منها((ولَن تَرْضَى...))تؤكِّدُ لي أنَّ البراءةَ منها فِعلُ صِدِّيقِ

المسلمون في العالم

أجرى الحوار : أحمد موفق زيدان

# حوار مع زعيم الحزب الإسلامي في أفغانستان
# قلب الدين حكمتيار

* الحكومة الائتلافية تضم بعض المنسوبين للجهاد والفارين إلى أوربا والحزب الشيوعي.
* الخيار العسكري هو الحل الذي نراه.
* إنهم لا يتركون الشعب الأفغاني يقرر مصيره ويختار حكومته دون ضغط خارجي.
* على الحركات الإسلامية التنبه لمزلق الاعتماد على المساعدات الخارجية.

قال السيد قلب الدين حكمت يار زعيم الحزب الإسلامي الأفغاني بأن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تتركز عل إنشاء قوى حقيقية لحماية الخطة التي تعمل لها من أجل تشكيل حكومة ائتلافية بين المعتدلين ونجيب الله ويكون على رأسها الملك المخلوع ظاهر شاه وأضاف الزعيم الأفغاني الذي كان يتحدث في حديث خاص وشامل "للبيان" من مقر إقامته في بيشاور بأن هذه القوى قد بدأت في الظهور فعلياً وحقيقياً المتمثلة في تشكيل مجلس للقادة الميدانيين عندما سحبوهم من منظماتهم وكذلك مجالس القبائل بغية حماية الحكومة الائتلافية التي يعدون لها.

ولنترك القارئ الكريم مع حصيلة الحوار الذي دار معه واستغرق أكثر من ساعة.

**البيان** : في ضوء التحركات السياسية المتعددة والظروف المتغيرة في أفغانستان إلى أين يتجه الجهاد الأفغاني وخاصة في الجانب السياسي منه ؟ .

**حكمتيار** : أعتقد أنه بعد انتصارات المجاهدين الأخيرة في الشمال والجنوب قد أصبح بحوزة المجاهدين خطة للهجوم على كابل وأن وضع الحكومة ضعيف للغاية ولا تستطيع الصمود أمام المجاهدين ، كل هذه العوامل دفعت للتحرك السياسي من قبل دول لا ترغب في انتصار المجاهدين عسكرياً، وبعض هذه الدول تريد تكوين حكومة ائتلافية بين مجموعات المجاهدين المعتدلين والفارين إلى أوربا وأمريكا والحزب الشيوعي في أفغانستان وذلك بتكوين جبهة ائتلافية يعقبها حكومة ائتلافية ولكن هذا غير عملي ، وتكوين حكومة ائتلافية أمر مستحيل ، ولا أحد يستطيع قبول نجيب كطرف أو الحزب الشيوعي كطرف في الحكومة أو في أي انتخابات

عامة، وهذا أيضاً غير عملي ولا يمكن تنفيذه ، ولا أحد يستطيع ويجرؤ من المجاهدين أن يتحدث بهذا أمام الشعب.
وحتى الذين التقوا مع نجيب لا يعلنون هذا أمام الشعب خوفاً، ومع أن بعض الدول ترغب في تكوين حكومة مؤقتة بدلاً من حكومة نجيب وموقفهم أن لا يستقيل نجيب لوحده ويبقى الحزب الشيوعي .
أما الأمريكان والروس فأرى أنهم يريدون تكوين حكومة ائتلافية ، وتريدها أمريكا تحت قيادة ظاهر شاه وكذا الروس، ولكنه أيضاً غير عملي ، ولا يمكن فرض حكومة كهذه على الشعب الأفغاني وكما تعرفون أن أمريكا حاولت في السنتين الماضيتين بكل إمكانياتها تهيئة الظروف لهذه الحكومة وكانت تعتبر المنظمات الجهادية عقبة في تنفيذ هذه الخطة، وأخذت على عاتقها إضعاف هذه المنظمات وضربها من الداخل وتكوين قوة للدفاع عن حكومة كهذه ، مثل تكوين مجالس شورى القبائل والقادة الميدانيين وإبعاد هؤلاء القادة عن منظماتهم ، وبذلك تكون هذه المجالس القومية وراء دعم هذه الحكومة ولكن لم تستطع تحقيق هذا .
**البيان** : ليس من السهولة أن يتخلى الروس عن دولة تجاورهم وتشاطرهم أكثر من ألف وخمسمائة ميل عبر التفاوض السياسي خاصة وأن الوضع الداخلي الروسي ينذر بالتشرذم والتفتت فكيف إذا وصلت حكومة إسلامية تشاطر عقيدة وتاريخ ولغة الجمهوريات الإسلامية الست الواقعة فى روسيا، في ظل هذا الوضع كيف ترون السبيل للوصول لأهدافكم ؟ .
**حكمتيار** : الحل العملي لهذه القضية هو الخيار العسكري ، ووضع الحكومة في كابل سيئ جداً، وحتى الآن لا نرى حلاً آخر سوى التركيز على الحل العسكري ، وأعتقد أن موسكو لا تستطيع الاستمرار في دعم حكومة كابل ولا يقدرون على مواصلة دعمها، ولو وجدنا أنهم يتركون للشعب الأفغاني أن يقرر مصيره ويكوّن دولته بدون تدخل أو ضغط خارجي لما لمسنا ضرورة التركيز على الحل العسكري،ولكننا نرى أنهم ليسوا على استعداد لترك الشعب الأفغاني يقرر مصيره بنفسه في ضوء عقيدته ليكوّن دولته الإسلامية التي يريدها، ولكنهم يسعون ويريدون فرض حكومة مقبولة لهم على الشعب الأفغاني عن طريق المؤامرات ، ولهذا فليس لدينا خيار آخر إلا الاستمرار بالجهاد وهم يريدون تكوين حكومة ائتلافية، وعقد مجلس (لوياجركا) (1) لهذه الحكومة لتكون حكومة دائمة؛ لأنهم يعرفون أن الشعب مع المجاهدين ولو جرت الانتخابات لن تكون في صالحهم ، ولو جرى إسقاط حكومة نجيب وتحل محلها حكومة مؤقتة يقبل أعضاءها الشعب مثلما حدث في بنغلاديش عندما أعلن رئيسها الجنرال محمد إرشاد استقالته

وطلب من المعارضة أن تتفق فيما بينها على شخصية . فاتفقوا على قـاضٍ ثم جـرت الانتخابات ، ولو حدث هذا لكان سهلاً أن يوافق عليه المجاهدون.

**البيان**:لو حصل تشكيل الحكومة الائتلافية، وغدت أمراً واقعاً ماذا سيكون ردكم عليها؟ .

**حكمتيار** : لا يمكن فرضها ، وتكوينها غير عملي وسنستمر في الجهاد وليس أمامنا خيار سوى المقاومة .

**البيان** : العديد من المتابعين يرون أن الحزب الإسلامـي تعرض لخضات بعد خروج بعض أعضاء اللجنة التنفيذية من القيادة وبقائهم كأفراد، إضافــة إلـى تـعـرض الحـزب لـبعـض التصفيات في داخل أفغانستان كيف يرى حكمت يار هذا الوضع ؟

**حـكـمتيار** : الـحـزب الإسـلامـي في أحسن وضع منذ تأسيسه ، ومع جميع هذه الضغوط على الحزب الإسلامي لم يخرج أحـد مـنـه ؛ حـيـث يقــوم على مبدأ الشورى والقرارات بالأغلبية وليس لأحد الحق في الاعتراض على مواقف الحــزب إلا فـي مكانه ولو يقوم أي رجل بالدعاية السيئة ضد الحزب بعد اتخاذ القرار فهذا دليل على إخــراجه من الحزب وقد اتفقنا في لوائح الحزب بأنه لا يحق لأي شخص مسؤول أن يعارض سـيـاســة الحزب خارج مجلس الشورى أو اللجنة التنفيذية بعد أن اتفق عليها بالأغلبية.

**البيان** : يـتـحـدث حكمتـيــار كــل مــرة عن هجوم كبير على كابل ، متى سيحصل هذا الهجوم وهل اتفقت الأحزاب الأخرى على هذا الهجوم وماذا لو لم تشترك هذه الأحزاب هل تستطيعون تحقيق شيء؟

**حكمتيار** : الهجوم على كابل قريب - إن شــاء الله - ونـأمــل أن يوافق القادة الميدانيون عـلـى الاشتراك وإن شاء الله سيحقق الحزب شيئاً كما حقق في الـمـاضـي ، وأقــول بــأن الانتصارات التي حصلت بعد الشتاء كانت بسبب العمليات التي حصلت من قِبَل الحزب أثناء الشتاء عندما سيطر الحزب على 60 موقعاً عسكرياً للنظام حول كابل .

**البيان** : الحركة الإسلامية في أفغانستان أصبحت لديها تجربة في مسألة تلقّي المساعدات الخـارجـيـة، ما رأيكم بموضوع تلقي المساعدات من الدول بشكل عام ؟ وخاصة من الدول الكبرى الذين هم أعداء الإسلام.

**حكـمـتـيـار** : مــن الخـطــأ أن نعـتمد على المساعدات الخارجية، وعلى جميع الحركات الإسلامية التنبه لهذا.

**البيان** : مرة أخرى - حسب تجربـتـكـم - هــل ترى أن العامل العسكري لدى الحركات الإسلامية يطغى على العامل الاقتصادي مما يجبرها أن تبقى أسيرة سياسات دول وأطراف أخرى ؟

**حكمتيار** : لا أعتقد أن أي حركة إسلامية تهمل الجانب الاقتصادي ، والذي رأيناه بأن الحركات الإسلامية تهمل الجانب العسكري ، والحقـيقـة أن أول

تجربة عسكرية رأيناها كانت في أفغانستان ، وأعتبرها تجربة ناجحة، ولو نستفيد من هذه التجربة ونصحح الأخطاء فأرى أننا أهملنا الجانب العسكري وركزنا على الجانب الثقافي ونرى أن معظم الحركات الإسلامية تتضامن مع عدوها وتفاوضه وعندما يستفيد منها يتحين الفرصة لضربها وأظن أن هذا هو سبب الهزيمة .

**البيان** : هل تدعو لإنشاء تحالف بين الأحزاب الإسلامية المستقلة في أفغانستان ؟ .

**حكمتيار** : أعتقد لو ركزنا على الجانب العسكري أكثر وأكثر، وتركنا مسألة تكوين الحكومة، ويكون التحالف عبارة عن تنسيق بين هذه المنظمات ، ثم تشكل حكومة بعد إسقاط نجيب وتُعقد الانتخابات ونأمل أن نتفق على مثل هذا .

**البيان** : كيف يستشرف حكمت يار دور أفغانستان في منطقة آسيا مستقبلاً ؟ .

**حكمتيار** : إن جميع الشعوب الإسلامية تشعر بحاجة للتنسيق والتعاون لمواجهة الأعداء، ولو استطعنا تكوين حكومة إسلامية فلعلنا نقوم بدور في ترسيخ هذه الوحدة .

**البيان** : السؤال الأخير كيف ترون السياسة الباكستانية حيال أفغانستان بعد استقبال المسؤولين فيها ولأول مرة بشكل علني مندوبين عن ظاهر شاه ؟ .

**حكمتيار** : باكستان واقعة تحت الضغوط الأمريكية ولكن لها مواقف استراتيجية لا يمكنها التخلي عنها، وصعب عليها أن تقبل بشيء يرفضه المجاهدون ، ومن الصعب بقاء حكومة شيوعية مجاورة أو حكومة تضم المعتدلين وظاهر شاه وتضغط أمريكا على باكستان بأن تتخذ خطوة لا يرغب بها الشعب الأفغاني .

**الهوامش:**

1- البرلمان .

---

# عودة الجزائر إلى الحظيرة

يقول الله - عز وجل - في كتابه الكريم : ((إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) [الحجرات:10] ومن منطلق هذه الإخوة الإيمانية فإنه يسوءنا ويسوء كل مسلم أن يزج بالأعداد الكبيرة من المسلمين في المعتقلات ويعتدي على حقهم في الحرية والتعبير عما يؤمنون به ، وتكال لهم التهم من كل جانب ولا يسمح لهم أن يدافعوا عن أنفسهم علناً كما يُشتمون ويُتهمون علناً .

لقد تكررت المحن ضد العاملين للإسلام في العصر الحديث ، وكادت تصبح عملاً روتينياً من أعمال الذين يطاردونهم ، يتعسفون في استعمال السلطة

التي يـتـمـتـعـون بـهـــا. حتى أصبحت صنوف المحن التي تجري على أيدي خصوم العاملين في الصف الإسلامي لا تثير أحداً، ولا تحرك شعوراً، وكثير من المسلمين المخلصين أصبح يستمرئ هذا الروتين ويتقبله بسـلـبـيـة وتـسـلـيم يساء تطبيقه وتفسيره. فأن يصبر المسلم على قدر الله شيء وأن يـرضـى بالدُّون والهوان يصب على رأسه وعلى رأس مَن يشاركه في العقيدة شيء آخر.

وإننا من خلال مـتابـعـــة الأحداث وتطورها في الجزائر لاحظنا بقلوب يملؤها الأسى كيف تُجر "الجبهة الإسلامية لـلإنـقـاذ" جراً إلى ما آل إليه أمرها، وكيف تجتمع خيوط الخطة في الداخل والخارج لتشكل مسار الأحداث التي أفضت إلى اعتقال قادتها ومئات بل آلاف من أنصارها.

إن هذا الأسلوب في دفع الأحداث ، وهذا النوع من "الديمقراطية" يجعل المراقب الحيادي يعجب من جرأة أصحاب الفكر الأحـادي على اختلاق التهم ، ولا يثق - من جهة أخرى - بأي وعد يقطعه مثل هؤلاء للناس بالـعـيـش الـكـريم في ظل سلطة تحترم الرأي المخالف وتحنو على المعارضين مثل حنوّها على الموافقين.

إن المسلمين يستحقون أن يعيشوا كبشر ، وأن يتمـتـعـوا بمـــا يتميز به البشر ، أعني حرية الرأي وأن يكون لهم رأي فيمن يحكمهم وفي الأسلوب الذي يحكـمون به. وهذه أول ضمانة وأهم ضمانة لمخلوقات يطلب منها أن تبني أوطاناً وتساهم في الحضارة ، وإذا لم تتوفر هذه الضمانة لأي شعب فاقرأ عليه وعلى بلاده ومَن يحكمونها السلام .

لم تـكن المحنة التي حلت بالجبهة الإسلامية للإنقاذ مفاجئة لمن يراقب الأمور بعمق ولمن يقرأ الـتاريخ بعقل واعٍ،بل كانت المفاجأة التصريح بادئ ذي بدء للجبهة بالعمل السياسي العلني، وقـد أصـابت هــذه الـمـفـاجأة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية وخصومهم على السواء.

أما العاملون في حقل الدعوة الإسلامية فعندهم من قراءاتهم واطلاعهم وتجاربهم ما يجعلهم لا يغيرون قناعاتهم أن "سعداً أخو سُعيد" فما عدا مما بدا ؟!

لابد أن في الأمر شيئاً وهذا الأمر لا يتم ، وستعلمنَّ نبأه بعد حين .

وأما خصوم الدعوة الإسلامية فهم أيـضـــاً وقعوا بين الشك واليقين ، فمنهم غير المصدق لما يسمع : الجزائر، ذات التاريخ النضالي الـعـــريق! بلد "جميلة بو حريد" وجبهة التحرير و"بن بِلّة" و"بو مدين" ، والنضال ضد وضد .. ، ومعـلـمة التقدمية... "تخرج عن مدارها" وتزري بها الأيام حتى تسمح لهؤلاء الظلاميين بالحركة وفتح الفم؟! يا ويلاه!

إنها لإحدى الكُبَر !

ومنهم من رأى أن الأمر جد، ولا وقت للبكاء وفغر الفم ، فلنعمل على إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، متعلقين ببارقة أمل وهي أى المعقل الأخير لم يخرج مـن الـيـد بـعــد، ومـراهـنـين على سلبيات الإسلاميين من جهة، وعلى أسلوب "بطرس الراهب" في الاستنفار والتهويــل فـي الدوائر الغربية .
وهكذا كان ...عاد الكوكب إلى مداره ، وعادت الجزائر إلى حظيرة أخواتها !
والآن - بعد هذا العرض الذي قدم فيه كل طرف ما يحسنه - فقد وصل المسلمون إلى منعطف يجب أن يتساءلوا فيما بينهم ويسألوا أنفسهم عما ينبغي فعله.
عـلـى الـعامـلـيـن فـي صـفــوف الجبهة الإسلامية للإنقاذ وغيرهم ممن يشاركونهم المبادئ والأهداف أن لا يتركوا لـلـمـفــاجــأة وقـسـوة الـمـحنة أن تثنيهم عما يريدون ، فلابد من التحضير لمثل هذه الأوقات وذلك بإظهار التصميم والإصــرار يقـابـل الإصــرار من الطرف المقابل على التصفية،وإشعاره أن القضية ليست قضية بضعة أفراد مشاغبين أخلّوا بالأمن ، فتصرف معهم أهل القانون بما أعاد الأمن إلى نصابه ، لا، إن القضية هي قضية تيار كاسح له الحق الشرعي و"الوطني" أن يكون ممثلاً أصدق تمثيل في المشاركة فـي بحـث مـشـاكـل وطنه :
* الـتـركـيز - وبوضوح لا غموض فيه - على نبذ الإرهاب واستخدام السلاح واللجوء إلى العنف ،(وهذا ما كانت تؤكد عليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ).
* التأكيد على مطلب حرية التعبير الذي هو حق لكل إنسان كرمه الله.
* وعلى حرية أن يتمسك المسلم بعقيدته،وأن يرجع إلى مَن يوثق به في تفسيرها وتوضيحها لا مَن تشتريه الدول ليكون لساناً لها يشوه العقيدة ويضلل الناس .
إن وثيقة حقوق الإنسان ضمنت هذا الحق لكل العقائد الفاسد منها وغير الفاسد. والمسلمون يجب أن يؤكدوا على حقهم في هذا المـجـال ، ويطـلـبون من خصومهم الوقوف عنده ، لا أكثر من ذلك .
* وعلى حقهم في المشاركة السياسية، دون وصاية أو خضوع ، فهم ليسوا طارئين على هذا المجتمع ، كما أنهم ليسوا "حركيين"، وحقهم هذا لا يقبل التشكيك أو المساومة .
وليعلم المسلم أنه مبتلى ، وأن حياته سلسلة من الابـتـلاءات والمواجهات ، هذا ما تقتضيه سنة الله في الصراع الدائم والمدافعة المستمرة بين الـحــق وبـيـن الباطل ، ((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ولَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ))[البقرة:251] .

---

## فرنسا ما بعد ديغول

# تدفن أسطورة مساندتها للعرب

تحليل مترجم عن "غارديان ويكلي"

إن شبح الجنرال شارل ديـغول الذي أرسى مبدأ مساندة العرب ، ونغمة معارضة أمريكا في سياسة فرنسا الخارجية في الستينيات قد وُوري التراب وإلى الأبد في جزيرة مارتنيك خلال القمة الأمريكية الفرنسية فـي 14/3/1991 ، وقــد اخــتــار الـرئـيـس ميتران بشكل يدعو للاستغراب إقليماً فرنسياً ليعلن خضوع بلده للقوة العظمى الوحيدة (أمريكا) وليدفن أسطورة مساعدة فرنسا لنضال العرب ضد "إسرائيل" . وكل من بوش وميتران في مؤتمرهما الصحفي - الذي عُقد بعد 90 دقيقة محادثات - قد عبرا عن تصميمهما على الاسـتـمــرار بالوفـاق الذي ظهر بين واشنطن وباريس خلال حرب الخليج. لقد كان دور فرنسا ثانوياً لكنه بالـغ الأهمية في مساندة الهجوم الذي قادته الولايات المتحدة ضد العراق. لكن حكـمة الوفاق قد تعني التغطية على الخلافات ، وقد ذهب ميتران إلى أبعد من ذلك عندما قال: "إن بـلاده مستعدة لتأييد موقف أمريكا في سياستها تجاه الشرق الأوسط".

وقــد ذكرت صحيفة "هيرالد تريبيون" أنه بدلاً من التأكيد على وجهة نظر فرنسا السابقة - وهي أن ترعى منظمة الأمم المتحدة مؤتمراً دولياً للسلام في الشرق الأوسط كخطوة أولى - فإن ميتران أيد بوش في اتخاذ موقف عملي واستطلاعي بدون تحديد مسبق .

وقد حيت الصحافة الفرنسية تراجع ميتران هذا واعتبرته صفحة جديدة في العلاقات بين أمريـكــا وفـرنـســا. فقد قالت جريدة "لوموند" : لقد تبنت فرنسا بلا شك مسؤولية تحمد عليها وهي موقفها الجديد من واشنطن.

وأضافت الصحـيـفـة أن الـرئـيس ميتران قد اقتنص كل فرصة سانحة ليزيل تحامل الرأي العام الفرنسي على الولايات المتحدة.

وقد مهد وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما الطريق أمام إعلان ميتران الرسمي التحالف مع الولايات المتحدة.، وذلك خلال المقابلة الطويلة مع جريدة "لوموند" في 11/3/1991، حيث قال : إن باريس ستقف إلـى جـانـب الجهود الأمريكية في العمل على حسم النزاع العربي الإسرائيلي. وقد انتقد سياسة فرنسا الخارجية خلال حكم الجنرال ديغول ووصفها بأنها كانت سلسلة من الأوهام. وقد كان أهم عنصر في تلك السياسة تجنب التعاون المفتوح العلني مع الولايات المتحدة، وبناء عناصر تأثير ديبلوماسية في العواصم العربية.

لقد التزمت الحكومات الفرنسية المتعاقبة سياسة ديغول هذه التي واءمت بين إرضاء أمريكا سراً ، وإرضاء العرب في العلن. ولعل رولان دومـا هــو أول

مـســؤول فـرنـسـي ينـتـقـد هذا الأسـلـوب عـلـنــاً ؛ فـقــد أعلن أن فرنسا ليست مقيدة إلي الأبد بفكرة المؤتمر الدولي تحت إشراف مجلس الأمن من أجل بحث المسألة الفلسطينية. لقد دعت فرنسا مراراً خلال أزمة الخليج لانعقاد هذا المؤتمر من أجل تهدئة غضب المسلمين من سكانها، وإرضاءاً للحكومات العربية.
وحين انتصرت أمريكا انتصاراً ساحقاً في هذه الحرب ، وحين اشترك في هذه الحرب عدد لا بأس به من الحكومـات العربية فقد وجدت فرنسا في الانضواء تحت إرادة أمريكا فوائد أكبر من تأييدها للأهداف الفلسطينية.
ومعلوم أن الولايات المتحدة - على تعاقب إداراتها - تفضل سياسة الاقتراب خطوة خطوة لانعقاد المؤتمر الدولي ، هــذا الـمــؤتمر الذي يمكن أن يعطي الاتحاد السوفييتي دوراً ما في الشرق الأوسط ، الأمر الذي لا توافق عليه واشنطن .
لم يكن ديغول صديقاً مخلصاً للـعـرب أو للمسلمين ، فيما يخص هذا الأمر، وقد كان موقفه ذاك مجرد تلاعب بالألفاظ لإظـهــار باريـس قـوة دولية مستقلة عن الولايات المتحدة التي تهيمن على المؤسسات الغربية بما فيها منظمة حلف الأطلسي ، والجنرال الذي تخلى عن حلف الأطلسي لهذا السبب أعلن تأييده الكاذب للـهـدف الـفـلـسطيني بعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بالجيوش العربية في حرب الأيام الستة عام 1967 ، ولـم تحقــق باريس من تعاطفها كله ذاك إلا الوهم الذي سمته استقلالاً في سياستها الخارجية ، وسـرقـة مـلايين الـدولارات مــن الـدول الـعـربـيـة دُفعت مقابل أسلحة ومعدات لا يمكنها هزيمة ترسانـة الأسلحة الإسرائيلية. والنتيجة الوحيدة المحسوسة لسياسة فرنسا المسانِدة للعرب كانت في إقناعها لدول السوق الأوربية الـمـشـتـركــة إصــدار إعلان البندقية عام 1980 مع أن ذلك الإعلان ظل حبراً على ورق منذ إعلانه ؛ لأنه لا فـرنـسـا ولا غـيـرهـا مـن دول المجموعة الأوربـيــة كانت مستعدة لتحدي الولايات المتحدة في تعهدها بتمويل وتـسـلـيــح الـدولــة الصهيونية، وبدون ضغط دولي مؤثر على الولايات المتحدة لوقف مساندتها لإسرائيل ، فإن هذه لا ترى حاجة للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية.
وعلى أي حــال فإن الاتجاه الدولي قد تحول لمصلحة الولايات المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي كقوة عظمى ، وبعد تطلع أمريكا المقنّع للهيمنة كقوة وحيدة.
وقد اعترفت كل من فرنسا والاتحاد السوفييتي بهذه الهيمنة باتباعهما الخط الأمريكي في الحرب على الرغم من محاولتهما معاً تقديم خطط سلام اللحظة الأخيرة قبل الهجوم على العراق وقد كــانت جـهـودهــمــا الديبلوماسية غير الجدية لإنقاذ العراق للحفاظ فقط على صورتهما كقوتين

عظميين ذواتي تـأثـيـر في العواصم العربية . إن حرص فرنسا للتعاون مع واشنطن يعكس هذه الحقيقة الدولية الجديدة .
تغير آخر في موازين القوى في أوربا وهو (إعادة توحيد ألمانيا) قد بعث الخوف الفرنسي من أن تكون بون هي القوة الجديدة المهيمنة فـي أوربـا بـدلاً مــن فرنسا. إن ألمانيا الموحدة في وضعها الجديد تحاول أن تجد مكاناً بين الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن التي لها حق النقض ، وأي مراجعة لدور مجلس الأمن لإحلال ألـمـانيا فيه سوف يؤثر بالتالي على فرنسا . وفي مقابلة دوما مع "لوموند" كان واثقاً من أن مـسـاعدة فرنسا للولايات المتحدة في حرب الخليج ثم مساندة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسـط يـحـمل أمريكا على معارضة أية جهود ألمانية لدخول العضوية الدائمة ، سوف يجعل أمريكا تـوافـق على جهود ألمانيا لإطفاء دور فرنسا في مجلس الأمن ، فألمانيا لم ترسل قوات لتحارب في الخليج .
وقد أشار دوما إلى أن الانشقاقات في العالم العربي التي أسفرت عنها حــرب الخليج كانت الأساس لمراجعة سياسة فرنسا في الشرق الأوسط. ، إن الوحدة العربية التـي بُـنـيـت عليها فكرة سياسة ديغول المؤيدة للعرب أظهرتها هذه الحرب كخرافة، وفي الحقيقة فـإن سياسة الجنرال كانت مزدوجة.
إن الحديث عن شيء اسمه "عرب" هو أسطورة كما يقول دوما ، والحديث عن شيء اسمه سـيـاسـة عربية موحدة أسطورة أخرى، وسياسة ديغول العربية كانت سلسة من الأوهــام ، بالرغم من ذلك فقد ظل السياسيون متشبثين بها رغم خرا فتها.
وهـنـــاك دلالة أخرى لتقارب فرنسا مع الولايات المتحدة وهي قرار فرنسا في 15 من آذار الماضي الانـضـمــام إلى مجموعة دراسة ومراجعة وتجديد استراتيجية الحلفاء فيما يحصل بعد الحرب الباردة. وقد تألفت هذه المجموعة بعد قمة لندن لحلف الأطلسي في تموز عام 1990.
ولم تُنتخب باريس لتشارك في جدول الأعمال الذي كان مقصوراً على الأمور العسكرية . ومع هذا فـسـوف تظل فرنسا تدعو إلى الأمن والاستقرار والسلام في الشرق الأوسط من أجل العواطف العربية للـحـصــول على عقود إعادة البناء في الكويت والعراق ولبيعهم السلاح ، ولكن دعوتها هــذه سوف تظل غير مسموعة ؛ لأن واشنطن في وضع يجعلها تمنع أي عقد بين فرنسا من جهة وبين حلفاء أمريكا في المنطقة.
ولعل أكبر مفارقة ساخرة قـامـت بها فرنسا هي دخولها في حرب ضد حليفها القديم الذي ساعدت على تسليحه خلال علاقـتـهــا الـمميزة معه في الخمس عشرة سنة الأخيرة ؛ فقد احتكر الفرنسيون العقود المدنية والعسكرية فى العراق ، وربحوا من ذلك بلايين الدولارات ، هذه العلاقة بين فرنسا والعراق

بدأت عام 1974 على زمن رئيس الوزراء جاك شيراك ، لكن قدرة العراق على الدفع مقابل الأسلحة والـمـعـدات الفــرنـسـية تناقصت بشدة خلال سـنـوات الحــرب مع إيران التي استهلكت إنتاج العراق من البترول ، ونـتـيـجـة لـذلك أصبحت بغداد مدينة لباريس بحوالي 2.5 بليون جنيه إسترليني بالإضافة إلى بليون جنيه إسترليني فوائد ، وهكذا لم يعد العراق زبوناً جذاباً كغيره في هذه الظروف.

عن "غارديان ويكلي" 15/4/1991

---

---

أخبار حول العالم

## بعد عملية سليمان

## أي فلاشا جدد بعد الفلاشا الأثيوبيين ؟

رئيس وكالة الهجرة اليهودية في "إسرائيل" سيمحا دينيتز - وهو الذي أشرف على تنظيم "عملية سليمان" لنقل اليهود الأثيوبيين من أديس أبابا إلى تل أبيب - أوضح في باريس أن الولايات المتحدة وفرنسا ودولاً أخرى تساعد على نقل اليهود من سورية واليمن والعراق.

وكشف أن عملية سليمان كلفت 50 مـلـيــون دولار . وقـال : "في سورية 3 آلاف يهودي، وفـي العـراق ألـفـان ، وفي اليمن مئات عدة وفي إيران 30 ألفاً ونريد نقلهم جميعاً".

الأسبوع العربي 10/6/1991

## الكوماندوس حاول تخريب كاهوتا ...

هل تصل يد التـخـرب الإســرائـيـلـيـة إلى مفاعل "كاهوتا" وهو المنشأة النووية الباكستانية الرئيسية ؟

المعلومات الوثيقة تفيد بأن القتيل الإسـرائيـلـي الذي سقط في ولاية كشمير الهندية كان من ضمن مجموعة كومندوس ، مؤلفة من 7 سياح كُلفـوا بمهمة تخريب مفاعل كاهوتا الذي لا يبعد أكثر من 20 كيلو متراً من الحدود مع كشمير الهندية.

وتردد أن الاستخبارات الهندية نسقت مع الموسـاد مــن أجــل نسف كاهوتا حيث الخطة لتصنيع قنبلة ذرية قطعت شوطاً بعيداً. ولهذا السبب قالت الخارجية الباكستانية : "نحن قلقون لهذا الوضع ، ويصعب تصديق أن هذا العدد من الأجانب كان هنا لمجرد الاستمتاع بالمنظر الطبيعي للوادي ، في ظل الوضع الحالي " .

الأسبوع العربي 8/7/1991

## وزير إسرائيلي في آذربيجان

## بناءً على طلب من رئيسها

بدأ وزير العلوم والتكنولوجيا الإسرائيلي يوفال نعمان زيارة إلى الاتحاد السوفياتي بدعوة من أكاديمية العلوم. وعقد في العاصمة الآذربيجانية باكو أمس اجتماعاً مع رئيس الجمهورية اياز مطّلبوف الذي دعاه شخصياً إلى لقائه وأعلن مطلبوف بعد الاجتماع عن قرب افتتاح خط جوي مباشر بين باكو وتل أبيب. وذكرت وكالة "إنتر فاكس" المستقلة أمس أن مطلبوف أكد أن هناك "آفاقاً واسعة للتعاون الاقتصادي بين آذربيجان وإسرائيل". وأشار نعمان إلى أنه "ذهل" للاهتمام الذي تبديه القيادة الآذربيجانية بحل مشاكل الطائفة اليهودية المحلية.

جريدة الحياة 29/5/1991

---

## الإسلام في تركيا

عبد المنان جولحة

بعد إبطال المادة رقم 163 من القانون التركي - التي كانت عائقاً كبيراً أمام أي نشاط إسلامي - استطاع المسلمون في تركيا كسب مواقع جديدة، فتُرجمت كتب لم يكن يسمح أن تترجم أو ترى النور، مثل كتب ابن تيمية وابن القيم وابن كثير، ومن ناحية أخرى بدأت أصوات ترتفع منادية برفع القانون الذي يحمي الأتاتوركية، وظهرت الوثائق التي تكشف التزوير والتضليل الذي مارسته الأتاتوركية خلال السنين السابقة وفي مدينة أزمير التركية أقيم مهرجان خطابي في يوم 29/5/91 حول فتح القسطنطينية (إستامبول) على يد القائد المسلم محمد الفاتح وكانت الكلمات تتحدث عن سيرة الفاتح وأخلاقه وبطولاته ودعوة للشباب للاقتداء بهذا البطل والتمسك بالإسلام ، وقد حضرت هذا المهرجان وفود من أوزبكستان وطاجكستان وتركستان من الاتحاد السوفييتي ، ومن البوسنة والهرسك بيوغوسلافيا كما حضرت وفود من إفريقية وأسيا .

---

## تعقيب على مقال : "وقفة مع عمل المرأة المسلمة"

أم عبد الله

اطلعت على مقال "وقفة مع عمل المرأة المسلمة" شاكرة للأخت "أم عبد الرحمن" حماسها الطيب ومحبتها للخير ورغبتها في تعميمه والدعوة إليه

.. مثنية بالشكر على مجلتنا **"البيان"** لاهتمامها بقضايا الأمة دقيقها وجليلها، سدد الله على الدرب خطاها.
ثم أما بعد .. فهذا تعقيب على مقال الأخت كتبته من باب التجربة ومعايشة الواقع الحي ولا ألزم أحداً في قبوله ((إنْ أُرِيدُ إلاَّ الإصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ))[هـود:88] ، وسـأجمل القول في النقاط التالية:
**أولاً**: نحن كمسلمين ملتزمين بأمر الشرع تعترضنا قضايا لا يبدو فيها الحكم واضـحـاً ليس من حيث الحل والحرمة ولكن من باب خير الخيرين!
وهنا المرجع إلى القواعد الكلية للشريعة السمحة ، تلك الضوابط التي مَن أتقنها اتـضـحـت السبل أمامه وأبصر سبيله.. ومن فقدها تعثر..بل ربما هلك وهو يحسب أنه يحسن صنعاً !
وفي هذه القضية عمل المرأة - وبالأخص مشاركة المرأة الملتزمة في الدعوة إلى الله واستغلالها مجال التدريس لهذا الهدف - لعل الناظر إليه برويَّة وأمل واستقراء لقواعد الشرع يرى أن الأمر فيه تفصيل.
1- فإن كانت المرأة عازبة - أرملة أو مطلقة ولديها من العلم والتقى والمنهج السليم نصيب - فـبـها ونـعـمت! تدعو إلى الله تأمر وتنهى.. وترشد وتنصح بعلمها وسلوكها وشخصيتها المتميزة ونيتها الـمتجردة فيعظم النفع ويضاعف الأجر ((ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إلَى اللَّهِ وعَمِلَ صَالِحاً وقَـالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ))[فصلت:33]، وهي في هذا مستشعرة واجب الدعوة "بلِّغوا عني ولو آية"(1) واضعة نصب عينيها "غتنم فراغك قبل شغلك"(2).
فحيَّاها الله أخت مـبـاركــة أينما كانت وتقبَّل عملها وبارك فيه وزادها من هداه ((والَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ))[محمد17] .
2- فإن تزوجت ولم تُرزق أطـفـالاً فـكـذلـك تستطيع بعون الله التوفيق بين عملها ورعيتها بحسن تنظيم الوقت والاستعانة بالله (تعالى) .
3- فإن رزقت أطفالاً فالحال تختلف تـمـامـاً ! أولئك أمانات استُودعت إياهم والله سائلها أحفظت أم ضيعت..سائلها عنهم قبل شــؤون الـدعـوة المتشدق بها في هذه الحالة ، فلتفقه المرأة الداعية هذا ولتلزم بيتها ولتحفظ رعيتها موقـنـة بـأنـهـا تربي الجيل المسلم.. وتعده وأنها تشارك الأمة في عملية البناء وهي في مملكتها.. وهي مرابطة على ثغرها !!
مستشعرة عظم العبء الذي تنوء به كأم مربية داعية وأفلحت إن شعرت!
إنه ليؤسفنا أن تنظر الأخت الملتزمة إلى "البيت" هذه النظرة الرائجة.. وكأنه آخر ما تفكر فيه فما هذا عهدنا بذوات الخدور القانتات الحافظات للغيب !
((وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ))[الأحزاب:33] عبودية يحبها الله فأحبِّـيـهـا..وأحيي شرع الله يحيي الله قلبك بالإيمان.

## وهنا سؤال قد يطرحه البعض:

ماذا أربي في طفل وليد أو لم يبلغ سنة أو سنتين هل أنقطع من أجله ؟!

وهنا نحيلها على كلام الأستاذ محمد قطب "شبهات حول الإسلام" - فصل الإسلام والمرأة ص138-139 ط. الشروق و"منهج التربية في الإسلام" ، لمحمد قطب 2/108-109 ، ط. الشروق.
إن الأمومة رسالة لا تقبل المزاحمة بعمل آخر يمتصها معظم النهار في أنظمة علمانية تعامل المرأة كالرجل. "حيث تبدأ دوامها من الساعة السابعة صباحاً حـتـى الثانية ظهراً، بل قد تبدأ المصلحة من السادسة والنصف ؟
فبربِّكم أين يُترك الأبناء ؟! إنها خيارات مُرة فما المُلجِئ لها ؟!
أعند الخادمات وهذا هو الملاحظ عند كثير من الأخوات الملتزمات ، حـيـث يريـن أنفسهن داعيات للحق ومريدات للخير.. لا يردن أن يتركن المكان شاغراً لأهل الباطل..تـراهـن قـد وقـعـن في استقدام الخادمات من شتى البلدان.. وحكم ذلك الاستقدام لا يجهله مبتدئ في العلم والدعوة.. بل مسلم من العوام يحفظ حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لا تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو محرم".
أم يترك عند الجدات اللاتي آن الأوان لبِرّهن وإكرامهن !
أفمن الإحـسـان إلـيـهـن وقـد بـلـغـن مــن الـعـمر عتياً أن يبدأن رسالة جديدة هي حضانة الأحفاد ؟!
أين الالتزام ((وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ))[البقرة:83]. لقد انقضت أعمارهن في كدح وشقاء وشظف عيش ..أفلم يأنِ لهن أن يتفرغن لذكر الله والتقرب إليه!
لقد أدَّين رسالتهن وكفى !
شـكـر الله لهن ورزقهن الشكر لهن ((اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا))[سبأ:13] .
أو في الحضانات..وأحيلها كذلك على المرجع السابق "شبهات حول الإسلام" .
**ثانياً** : وفـي هــذه الحالة - وهي التفرغ لتربية الأطفال وهي في حد ذاتها عبودية - فلن تفتر الدعوة كما ذكرت الأخت "أم عبد الرحمن" أو تنقطع بل أراها ستوجه وجهة أخرى تناسب الحال ..
يـقـول ابـن القـيـم - رحمـه الله - : "لله سبحانـه على كل أحد عبودية بحسب رتبته ، سوى العبودية العامة التي سوَّى بين عباده فيها ، فـعـلـى الـعـالِم مــن عبودية نشر السنة والعلم الذي بعث الله به رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ما ليس على الجاهل.. وعليه عبودية الصبر على ذلك ما ليس على غيره وعلى الحاكم من عبودية إقـامــة الحق وتنفيذه وإلزامه والصبر على ذلك والجهاد عليه ما ليس على المفتي ، وعلى الغني مـن عـبـوديــة أداء الحقــوق الـتي في ماله ما ليس على الفقير، وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولـسـانـه مـا لـيـس عـلى العاجز فيهما .."(3) والشاهد هنا أن على الأخت المتفرغة ما ليس على المنشغلة بأمومة وزوجية ورعاية بيت!!

ولكن أيضاً "عبودية الدعوة إلى الله" تقوم بها "الأخت الأم" حين توجه المسار ! فلا تزال على الدرب وإن شُغلت، وبين رعاية الحقوق مع الضر ورعايتها مع العافية بون بعيد (4).
فأين الأخت الملتزمة الداعية من اجـتـمـاعــات النساء بأنواعها من أعراس وولائم وزيارات ولقاءات لِمَ لا تحييها بالكلمة الطيبة؟!
أين الأخت الملتزمة من الاجتماعات العائـلـيـة لِمَ لا تـحـولـهـا إلى رياض من رياض الجنة تتخللها بالكلمة الهادفة ((وأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ))[الشعراء: 214] .
أين هي من الجارات بل من الحي بأكمله إن كانت مارست التدريس وغُرست فيه ؟ لِمَ لا تجعل له درساً دورياً مستشعرة أن أعظم الإحسان إلى الخلق الإحـسـان إليه بالعلم والهدى مستعينة بالكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي وكل ما يخدم الدعوة ويـيـسرها، لقد جُرب هذا فأثمر .
**ثالثاً** : أن التدريس كوظيفة لها التزاماتها.. ويعرف هذا كل من مارس التعليم الحكومي ، الكثير من الأخوات لم يتركن التدريس كمجال للدعوة إلا بعد أن عانين الأمرّين من ارتباك حياتهن الأسرية تحت ضغط أنظمة وقوانين لا تعامل المرأة كمرأة ! فكأن لـسـان حـالـهــن يقول : "ما خرجنا إلا لله وما قعدنا إلا لله" ! .
ومعاناة أخرى تعانيها الأم المدرّسة الداعية فكيف ستكون سكناً للزوج الداعية المرهق ؟!
إنها أمور جُربت وخُبرت .. ومن ذاق عرف !
فـإذا كـانـت الدعوة عبودية ، فالزوجية كذلك..والأمومة كذلك ، فلتوزن الأمور بموازينها وليُعطَ كل ذي حـق حقه .. ولنسرْ على الدرب بخطى مدروسة لا نقبل أنصاف الحلول ولا نعالج الخطأ بالخطأ مستضيئين بقواعد هذا الشرع.
أما أن نترك بيوتنا وأطفالـنـا ورعـايـانا لنزاحم أهل الباطل في مواقعهم .. هكذا بلا تفصيل فلا يقول به إلا مَن جهل الواقع .. أو تجاهل؟! ومَن تناسى الفطرة والتبس عليه الخيران.
إن ترجيح الفاضل على المفضول قد يفوت بالحماس اللامنضبط بضوابط الشرع ، وذلك أمر يقع فيه الكثير إما لقصر النظر أو سطحيته أو اسـتـعجال النتائج بغض النظر عن العواقب البعيدة!
وإن الزج بكل طيبة لمجال التدريس لتدعو إلى الله - بـصـرف النظر عن حالها (أماً كانت أم لا) - فيه نظر .. فليست القضية يا أختي "شؤون بيت" يـسـاعد فيها الزوج ويحتسب! فذلك أمر تقوم فيه الآلة بدور ولله الحمد .. ولكن القضية المـعـمـى علـيـهـا "قضية الأبناء" فهل نفقه؟!
إن الأبـنـاء والعـنـايــة بهم أعظم مجال تنصرف إليه المرأة وأشرف ما صرفت فيه الجهد، وقضت فيه الوقت ولا يـعـادلـه أي مـجـال آخر، وهذا ما

اعترف به العقلاء والمنصفون في المجتمعات الغربية التي استهانت بهذا الـدور ؛ فحُرمت السكينة.
فلتقم الأم بدورها متعبدة لله بذلك ولتقم الأخـت الآنـسة بـدورهـا ولـتـدعو كل منهما بما يناسب حالها فذاك الذي يُرضي ربها ((والَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)) [الأعلى:3] .
وخـتـامـاً ، فـلـيـسـت هـذه الـكـلـمات تثبيطاً للهمم بل أحسبها تصحيحاً للمسار ونبراساً ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ))[ الملك:2] .

**الهوامش:**

1- من حديث رواه الحاكم في المستدرك 4/306 عن ابن عباس وصححه وافقه الذهبي .
2- جزء من حديث »اغتنم خمساً قبل خمس...« صحيح الجامع 1/355 رقم 1088.
3- إعلام الموقعين ، 2/157-158.
4- الفوائد لابن القيم (حكم وعظات) .

---

ركن الأسرة

# قبل أن تكوني داعية

اختيار : مريم سعيد

يقول الله - عـز وجـل - فـي كـتـابـه الـعـزيـز ((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ)) [النحل:125] .
جـزء مـن آيــة يـعـبر عن معنى عظيم مهما حاول الإنسان أن يغوص في أعماقها ليستخرج المعنى المناسب لها لا يستطيع ويبقى وكأنه على السطح أو على الشط لم يتجاوزه. ولنحاول أن نأخذ معنى من هذه المعاني الكبرى التي تحتويها الآية العظيمة : "الدعوة إلى الله" .
**أختاه** : أقول لكِ بعض كلمات أرجو أن تغرسيها في قلبك وأن تزرعيها في عقلك وأرجو أن تجد لها مكاناً في قلبك وأن لا يطويها النسيان .
إن المسلم الحقيقي إذا قـيـل لـه : ألّف أجـسـاداً تتجمع حـولك وعـيوناً تنظر إليك وآذاناً تستمع إليك يقول : لا ؛ إني أريد أن أؤلف قلوباً تتجمع وعقولاً تعي ويـداً تعمل وتبني. إن هم المسلم الصادق هو كيف يستطيع أن يحول القلب القاسي إلى ينبوع من الحنان يتدفق وإلـى شلال من العواطف تنساب ، أن يمسح عن القلب الغبار الكثيف الذي خـلـفـه ركـام الزمـن. إن أسـعـد الـنـاس حـالاً في هذه الحياة أولئك الذين منحهم الله نفساً جميلة مادة يحبها الناس وتثق بها النفوس وتأنس لها الأرواح .

يا أختاه ، إن كثيرات من الـمـسـلمات بحاجة إلى قلب وعاطفة ومشاعر فكوني أنتِ القلب لهن وأحبِّيهن بعاطفتك ومشاعرك ، إن الإنسان الذي يعيش بلا قلب مؤمن حي ولا مشاعر عفيفة صادقة لا يستحق الحياة، إن المؤمنة الصادقة هي التي لا تفقد قلبها الطفل العطوف ، وحتى لو أحست من قِبل أخواتـهـا بقـسـوة فـتـتحمل ، وليس هناك شيء ذو قيمة حقة يمكن أن يُشترى بلا آلام وأنت تطلبين الجنة ! .
فـإن الـمسـلـمة الـحقـة هي الـتي تـلـوم نفـسها على التقصير بينما التافهة هي التي تلوم الآخرين، يا أختاه ، إن في هذه الأمة مناجم مـن قـلـوب لا يحجبها عنا إلا غبار الزمن ، فامسحي بيدك على هذه القلوب لتتفتح كالزهور وتورق كالياسمين وهذه هي فراسة المؤمن.
إن الإنسان يقاس بقدر المهمة التي يسعى إليها، فـكـلـمـا ارتفعت ارتفعت قيمته وسمت ، إياك أن تكوني سطحية في الحكم وفي التفكير بل غوصي فـي الأعـمـاق لتستخرجي اللؤلؤ وإياك أن تهتمي بالأخطاء الصغيرة وتـتـوقـفـي عندها لتحكمي على صـاحـبـتـهـا بالفـشـل (فـالأخـطـاء كـالقـش تطفو على وجه الماء) فمن أراد الـبـحـث عـن اللؤلؤ فـلـيغص في الماء ليستخرجه ، فإن الشجرة التي تلامس السماء نمت وترعرعت من أصغر بذرة وكما يقولون (ولولا ظلمةُ الأخطاءِ ما أشرقَ نورُ الصوابِ) .
لابد أن نسير في طـريـق الـدعــوة مـهـمـا كـانـت شائكة، وعلينا أن نقطع الطريق إلى القمة الشاهقة إلى الفردوس الأعلى مهما أدمت أقدامـنــا الأشــواك ومهما جرح كلام المستهترين القلوب. إنني كم كنت أحزن على ذلك الشباب المستهتر الـمـغـرور الذي يظن الحياة للهو والـمـرح ومـرتـعـاً للمـيـوعة والعبث ، أكره منهم تلك الأنانية المفرطة الـتـي تـطـغـى على شخصيتهم وذلك الاسـتـعـلاء الفارغ الذي يطل من عيونهم ، وتحت مظهرهم الأرستقراطي الجذاب ، كنت ألمح نفـوسـاً دنـيـئـة لا يراها أولئك الذين غرتهم الحياة وغرتهم الأموال والشهوات.
إن وجودك - يا أختاه - متمسكة بأخــلاق دينك وبمبادئك معجزة تدب على الأرض؛إذ كيف تشب هذه الفتاة أو هذا الشاب فـي واقـع تذوب فيه الصخور ويصهر فيه الحديد. وكثير من الناس - وا أسفاه ! - ليس لهم مــن الإنـسـانـية إلا نقاط الالتقاء مع الحيوان، إنـنـي أعــرف أن كثيراً من الإخوة والأخوات الشباب عقولهم من أذكى العقول ، وقلوبهم من أطهر القــلــوب ، يريــدون التذكير والدعوة ليصبحوا عاملين. ولو كان شبابنا وشاباتنا
من هذا الطراز لطوينا حياة التخلف والانهيار التي نحياها في بلادنا.
فيا أختاه ، ثقي بنفسك وبـإيـمـانك وبدينك ؛ فإن لك لغة مؤثرة لو لامست الصخر الأصم للان واستمع ، ولتعلمي أن سلب الأجسام أرواحها ليس بأسهل من سلب النفوس غرائزها وميولها، وإني لأعلم أن في هذا مـشـقـة ولكن قد

كُتب لهؤلاء العاملين على وجه الأرض في مجال الدعوة أن يعيشوا فيها عيش الأشـجـار في الصحاري تظلل الناس بوارف ظلها وهي تصطلي حر الشمس.

---

امرأة وموقف

# أسماء بنت يزيد بن السكن

مزنة محمد

صحابية جليلة وأنصارية وراوية ثقة ومـجـاهـدة صـابـرة. فمَن تكون هذه التي جمعت هذه الصفات النبيلة واختُصت بها ؟

إنها أسماء بنت يزيد بن السكن الأشهلية، ابنة عمة مـعاذ بن جبل - رضي الله عنهما - أسلمت وبايعت الرسول - صلى الله عليه وسلم - بيعة الـرضــوان وروت عـنــه أحـاديث وشهدت معه فتح خيبر. ولقد لُقبت "برسول النساء" إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - . ولهذا اللقب قصة يحسن بنا أن نذكرها لما فيها من الفائدة لعامة النساء.

روى مسلم بن عبيد أنها أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو بين أصحابه فقالت : بأبي وأمي أنت يــا رســول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله - عز وجل - بعثك إلى الرجال والنساء كافةً، فآمـنــا بـك وبإلهك وإنا - معشر النساء - محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحـامــلات أولادكم ، وإنكم- معشر الرجال - فُضلتم علينا بالجُمع والجماعات ، وعيادة المرضى،وشـهـود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله - عز وجل - وإن الـرجــل إذا خــرج حـاجـاً أو معتمراً أو مجاهداً، حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفما نشـاركـكـم الأجر والثواب ؟!

فـالـتـفـت الـنـبـي إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر ديـنـهـا مــن هـذه ؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا.

فالتفت النبي إليها فقال: افهمـي أيتها المرأة وأَعلِمي مَن خلفك من النساء أن حسن تبعُّل (1) المرأة لزوجها وطلبها مرضاته ، واتـبـاعـهـا موافقته يعدل ذلك كله ، فانصرفت المرأة وهي تهلل (2) .

يا لها من رسالة خالدة .. ومسؤولية عظيمة .. فتنال المرأة أجر الجهاد وهي في مخدعها.. وتـنـال ثـواب الجماعة وهي في غرفتها.. وتكسب شرف الجراح والاستشهاد في سبيل الله وهي لمَّا تغادر بيتها !! ، فجزاك الله عنا خيراً يا أسماء ؛ فقد كنت سبباً في تعليم النساء أقرب الطرق إلى الجنة ومن أقصرها وهو سبيل الطاعة.

كان الرســول - صلى الله عليه وسلم - إذا أشـرف عـلـى بيوت بني عبد الأشهل - بيت قومها - يقول : ماذا في هذه الدروس ، الخير ! هذه خير دور الأنصار.
شهدت أسماء فتح خيبر مع مَن خرجن من النسوة لمداواة الجـرحــى ومناولة السهام وطبخ الطعام وخرجت مع جيش خالد بن الوليد لملاقاة الروم في معركة اليـرمــوك وقـتـلت بعض جنود الروم بعمود خبائها. فلله درُّك يا أسماء فقد نلتِ أجر الجهاد مرتين : الأولى وأنت في بيتك والأخرى في ساحة الوغى.
امتدت بها الحياة حتى شهدت انتهاء الخلافة الراشدة وتكوين الدولة الأموية وتوفيت في خلافة معاوية في السنة الرابعة والخمسين للهجرة.
رحم الله أسماء ورضي عنها فقد صدق فيها حديث رسول الله: "رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن حياؤهن من التفقُّه في أمور دينهن" .

**الهوامش :**

1- أي حُسن مصاحبتها له .
2- أسْد الغابة ، 6/19.

---

---

مراجعات في عالم الكتب

# كتاب دراسات في أصول المداينات وكتاب دراسات فقهية

تأليف : أ.د.نزيه حماد

مراجعة : عثمان جمعة ضميرية

على كثرة ما تدفع المطابع مـن الـكـتـب والمطبوعات ، قد لا تجد في المائة كتـابـاً جـديـــراً بالعناية والدراسة، فإذا وقعت على دراســة دقيقة عميقة موثقة في أي فرع من فروع العلم، فأنت إذن تقبض على كنز ثمين ، ينبغي أن لا تفرِّط فيه .
أقول هذا، وقد فرغت من قراءة كتابين جديـديـن مـن مـنشــورات دار الـفـاروق - الطائف وتأليف الأستاذ الدكتور نزيه حماد ، أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله في كـلـيـة الـشـريـعــة جامـعـة أم القرى، وهو المعروف بين إخوانه وطلابه بمحاضراته الجامعية وبحوثه العلمية التي تتسم بالعمق والجدية، فهو لا يرضى بالسهولة والسطحية في البحث ، أو الخطف في الكتابة والتحقيق ، وكتبه المحققة والمؤلفة ، وإشرافه على الرسائل الجامعية ، ومناقشاته ، وبحوثه المقدمة للمؤتمرات والمجامع الفقهية، فيها الدليل الصادق لمن أراد.

**الكتاب الأول : دراسات في أصول المداينات في الفقه الإسلامي :**
وهو مجـمـوعـة دراسات فقهية مقارنة في موضوع المداينات في التشريع الإسلامي ، كان قد ألقى أصولها محــاضـرات على طلبة قسم القضاء بكلية الشريعة، عندما عهد إليه بتدريس مادة "الدَّيْن وطرق ثبوتــه"، ونـشــر جُــل مباحثها في بعض المجلات العلمية والنشرات الجامعية ؛ مما يحصر الإفادة منها بفئة من الباحثين والقُراء فكان من الخير أن تُجمع في كتاب ، منظومة في عقد واحد، نظراً للوحــدة الموضوعية التي تؤلف مباحثها وتجمع بين مسائلها وجزئياتها، وبعد أن أعمل فيها يد الـتـحـريــر والتنقيح ، وأضاف إليها إضافات علمية ذات أهمية.
**ويضم الكتاب بين دفتيه ستة بحوث :**
**البحث الأول :** حقيقة الدين وأسباب ثبوته ، تـنــاول فيه الكلام بالتفصيل عن حقيقة الدين في اللغة والاصطلاح الفقهي ، وحقيقة الذمة، نـظــراً لارتكـاز فكرة الدين على فكرة الذمة وارتباطها بها، ثم بين أسباب ثبوت الدين في الذمة .
**البحث الثاني :** توثيق الدين في الفقه الإسلامي وهي دراسة مــن أهـم الأمــور المتعلقة بمداينات الناس وعقودهم التي تتضمن ثبوت الدين في ذمة أحد المتعاقدين أو تسببه ؛ لأن غرض الشرع ومقصده أن يحفظ لصاحب الدين حقه بأن يمكنه من بلوغه والحصول عليه ، وأن يدفع عنه مفسدة هلاكه أو جحوده ، أو العجز عن إثباته واستيفائه.
**البحث الثالث :** التصرف في الدين في الفقه الإسلامي ؛ فدرسها دراسة مقارنة ، فهي مـن أهم مـوضــوعــات الـمـعـامـلات المالية ، وأكثرها عمقاً ودقة وشمولاً، بل إن مباحثها ومسائلها تعتبر بمنزلة العصب الـسـاري فـي هيكل العقود والمعاملات . ومما يزيدها أهمية وشأناً أن كثيراً من صور التعامل المالي المعاصر - كـالـتـحـويــلات المصرفية ، والبريدية ، والكمبيالات ، والسحب على الحساب الجاري .. - إنما يرتكز تخريجها الفقهي، وتبنِّي أحكامها على أساس فروع وقواعد التصرف في الدين .
**البحث الرابع :** تغيُّر النقود وأثره على الديون ؛ وهذا البحث يعالج مشكلة اقتصادية معاصرة تمس الفرد والجماعة في أغلب دول العالم اليوم وهي مشكلة التضخم وما يرافقه من تأثير على النقود، كما أن التأثير قد يكون ناتجاً عن تخفيض دولة ما لعملتها النقدية أو قـد تلـغـيـهـا وتستبدلها بغيرها.. فلذلك من الأهمية بمكان دراسة ما يتصل بالمعاملات المالية عند تغير أحــوال النقد وأثر ذلك على الديون في الذمم أياً كان سببها ومنشؤها.
وهذا الجانب لم يغفله عـلـمـاؤنا - رحمهم الله - وكان لهم نظرات مهمة جديرة بالعناية، وقد جاء هذا البحث ليبين ذلـك ، فـيـدرس تغـيـيـرات النقود الذهبية

والفضية، والنقود الاصطلاحية، وفي هذه الأخيرة فرَّق بين خمس حـالات وهي : الـكـسـاد الـعـام للـنـقـد، والكـسـاد الإقليمي للنقد، وانقطاع النقد، وغلاء النقد ورخصه . وحكم كل حال من هـذه الحالات ، ثم يبحث حالة التضخم والانكماش .

**البحث الخامس :** بيع الكالئ بالكالئ (بيع الدين بالدين) ، وحظْر بيع الكالئ بالكالئ من أبـرز الأصـول الشرعية في المعاملات ، فكان لابد من تحرير القول فيه ، وضبط معاقده وبيان أحكامه.

**والبحث الأخير:** الـمؤيدات الشرعية لحمل المدين المماطل على الوفاء ، وبطلان الحكم بالتعويض المالي عن ضرر المماطلة .

فقد ذهب الأستاذ مصطفى الزرقا في مقال له بمجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجدة عام 1405 هـ إلى أنه يجوز الحكم على المدين المليء المماطل بتعويض مالي يدفعه للدائن مقابل ما فوَّته عليه من منافع بسبب تأخير الوفاء .

ونظراً لبطلان هذا الرأي شرعاً، لضعف الأساس الذي ارتكز عليه ، وفساد الاجتهاد الذي نحا إليه ، فقد جاء هـذا البحث لتفنيد تلك المقولة وبيان أوجه الغلط فيها لئلا يغتر بها أحد، مع بيان العلاج الـشـرعـي الصحيح للمماطلة، والتعريف بالمؤيدات الشرعية لحمل المدين المماطل على الوفاء بدينه .

**أما الكتاب الثاني : دراسات فقهية :**

وهي مجموعة فقهية منهجية في موضوعات متنوعة تكمل الكتاب الأول ، وتضيف جوانب أخرى، قد لا يجمعها مع سابقـتـهـا وحدة موضوعية، ولكنها تناقش قضايا فقهية مهمة، وانتظم الكتاب ستة بحوث وهي : الـصـلـح في الأموال ، اللُّقطة في البلد الحرام ، الوعد، القبض الحقيقي والحكمي للأموال ، الهجرة، القنوت.

والكتابان دراسة فقهية مقارنة دقيقة للـمـسائل ، تقوم على منهج علمي دقيق ، يحرر فيه المسألة ومحل الوفاق والخلاف ، من خـلال عـرض المذاهب الفقهية والاستدلال لها، مع المناقشة والترجيح ، وقد يترك للقارئ من خلال الـعـرض يختار ما يراه أقوى ومتفقاً مع الدليل ومقاصد الشريعة.

ونـلـحـظ الـدقـة في عزو الآراء ، وتوثيقها بشكل دقيق أمين ، وفي خاتمة كل بحث بيان بمراجعه ومصادره ، وهي طريقة تربي في طالب العلم الملكة الفقهية، وتعوده على البحث الدقيق في الدراسات الإسلامية الفقهية.

وللمؤلف خالص الدعوات ، و"**للبيان**" خالص الشكر والثناء أن فسحت.

---

قديم جديد

## الأوروبيون والكيل بمكيالين

شكيب أرسلان-حاضر العالم الإسلامي 4/67-68

جاءني مرة - وأنا منذ سنتين في برلين - اثنان من سفارتين من سفارات الإنكليز الكبرى في أوروبا، يريدان أن يباحثاني في المسائل الشرقية ، فكان من جملة ما قال لي أحدهما: قُلْ لنا هل تعتقد كوْن هذه الشعوب الشرقية القائمة كلها بطلب الاستقلال هي أهلاً له. فأجبته : قل لي هل بلاد اليونان منذ قرن والبلغار منذ 40 سنة والجبل الأسود والصرب كانت أرقى مما هي عليه مصر وسورية وتونس الآن ؟ فلماذا يطلب لتلك الاستقلال مع مساعدة جميع أوروبا وأثناء تصفيقها وابتهاجها وينكر على هذه بحجة أنها لم تصل إلى درجة الكفاءة ؟!

قال الإنكليزي : أفلا تعترف بكوْننا أقدر على إدارة مصر من أهلها. وإن وجودنا فيها أضمن لمرافقها المادية. قلت له : أفلا تعترف بأن النمسا أقدر على إدارة يوغوسلافيا من الصرب وأنها أرقى بدرجات من الصرب ؟ أفلا تعترف بأن النمسا هي التي هذبت ورقت مستوى جميع تلك الأمم التى انسلخت عنها بمساعدتكم ؟ أفلا تسلم بكون الرومان الذين كانوا في المجر هم أرقى من رومان نفس رومانيا وأن حكومة بودابست هي أعلى مراراً من حكومة بوخارست ؟ أفلا تقر بكون الألمان هم أقدر من البولونيين على إدارة سليزيا العليا؟ وأن مرافق سليزيا العليا تكون تحت إدارة ألمانية مضمونة أكثر مما تكون تحت إدارة بولونية ؟ فلماذا إذا سلختم يوغوسلافيا عن أوستريا وترانسيلفانيا عن المجر وقسماً من سليزيا عن ألمانيا ؟ ربما تقولون لملاحظات أخرى وطنية واعتبارات قومية لابد منها ؛ إذ كل أمة لها حق في أن تدير نفسها بنفسها فلماذا هذه الاعتبارات القومية والوطنية تبقى مرعية ما دامت في أوروبا فإذا كانت المسألة في الشرق لم يبقَ هناك من سبب يجب اعتباره سوى حسن الإدارة ؟ قلت له : أنا لا أشك في أنه لو استولت ألمانية على أستونية أو ليتوانية أو لاتفيا لإدارتها أحسن مما يديرها أهلها اليوم ، ولو استوليتم أنتم على البرتغال لكانت حال البرتغال المالية والإدارية أحسن منها في أيدي البرتغاليين وهَلُمَّ جَرًّا، أفتسمح أوروبا لألمانية بحجة علوية الإدارة أن تستولي على بلاد البلطيك أو لكم بأن تستولوا على البرتغال ؟ لا أظن ذلك . فلماذا بحجة أفضلية الإدارة تتمسكون بالبقاء بمصر ولا تنظرون إلى ما هنالك من العوامل القومية والوطنية ؟ ولماذا جمهورية أريفان الأرمنية تستحق الاستقلال وكرجستان هي أهل للحرية، ومصر وسورية لا تستحقان الاستقلال ولا الحرية؟

أترى أريفان هذه بل كرجستان أرقى من مصر أو سورية أو العراق أو تونس ؟ كلا . فلماذا تحللونه عاماً وتحرمونه عاماً. وأغرب من هذا أن آذربيجان التي هي أرقى جداً من أريفان لم نجد دولة من دول أوربا طلبت لها الاستقلال وهن بأجمعهن يطلبنه لأريفان. مع أن آذربيجان أربعة ملايين وأريفان أربعمائة

ألف وآذربيجان متمدنة وأريفان بجانبها تعد متوحشة. وكــذلــك جمـيـع الدول مهتمة بدفع البولشفيك عن أريفان وكرجستان وليس من واحدة تطلب دفعهم عن آذربـيـجـان والطـاغـسـتــان ، هل في ذلك سبب إلا كوْن الأوليين مسيحيتين والآخريين مسلمتين ؟ أفبمثل هذا الـعــدل وهــذه المساواة تطمع أوروبا أن يكون بينها وبين الإسلام سلام؟ .

---

# إلى علماء الأمة

سعود بن محمد آل عوشن

إن العلماء في كل زمان ومكان هم مـصـابـيـح الأمة وسراجها المنير وقدوتها وقادتها ؟ .. ويجب أن يتولوا توجيهها إلى سـبيل الرشــاد غير أن البعض منهم بَعُدَ عن الميدان وتكاسل مما أدى بدخول مَن لم يكن أهلاً لذلك ؛ ممـا دفــع الأعداء إلى استغلال هذه الأصناف من البشر يهدمون الإسلام باسم أهلـه ، دخلوا الميدان الإعــلامي فـاسـتـغـلــوه لنفث سمومهم وترويج مبادئهم وسلعهم وتـنشئة أبنائنا عليها ؟ .. فهل أنتم غافلون ؟ أم مـتـنـصـلـون من المـسـؤولـيــة ؟ لا شـك أنكـم مسؤولون عن ذلك أو محاسبون على كتم العلم أو عدم تعليمه وتبليغه للبشرية بصفة عامة ؟.. فأين تبليغ للإسلام ؟ وأين الدعوة إليه ؟

بل أين المؤلفات العصرية التي يمـكــن أن يـبـلـغ الإسلام بها ؟ وتبين محاسنه ومبادئه وما يقتضيه من إسعاد للبشرية ؟.. وأين الكتب المبسطة لمن دخل الإسلام لتعلّمه تطبيقه ؟ وغير ذلك مما هو شاغر من ميادين الإسلام وأعماله بـيـنـمـا امتلأت المكتبات والأرفف بالقصص الماجنة والخزعبلات الضالة ؟..

أين أنتم من هذا الخـضـم في الأسواق من الصحافة الضالة والمؤلفات الكثيرة والأفكار الهدامة وما يسخر في سبيل ذلك مـن طـاقـات وجـهـود وأمـوال الأمة الإسلامية ؟ .

**سادتي الأفاضل**: إنـهــا الغـيـرة عـلى الإسلام وأهله وعلى الأمة الإسلامية وما تعاني من ويلات ومشاكل؟ وندم على ما نـشـاهــد من تفكك في أهل الخير وتباعدهم ، وتضحية عند أهل الباطل لباطلهم وتخاذل وتهاون بين أهل الحق .

إن أموال الأمة نلعب بها كلاب البشر فـي ملاهيهم وباراتهم ونواديهم وغير ذلك من ألوان الفسق والكفر بينما نرى البعض مُخلدين لحـب الـدنـيـا والدرهم لا يسألون إلا عن أنفسهم وأكلهم ومعاشهم وتجارتهم وما يتعلق بهم؟ وكأنهم يعيـشـون فـي الوجود وحدهم أو ليسوا مسؤولين عن غيرهم ولا حتى بالمشاركة الوجدانية .

**سـادتي الأفـاضــل** : هــل أدركتم وضعكم وما يجب عليكم وما يحيط بكم وما يحاك لكم وكيف حال أمتكم وإخوانـكـم في مشارق الأرض ومغاربها ؟..

فلماذا لا تعلمون حال أمتكم وتشاركونها وجدانها آلامها وأحـزانهـا تفزعون لمصائبها وتسعدون لسعادتها وتجاهدون في الذود عن حياضها .
لـماذا نبرئ أنفسنا من مسؤوليات مشاركة إخواننا في الجهاد في آلام الجوع والعري وغيره ونحن نعاني من آلام التخمة الكثير والكثير .
**سادتي الأفاضل** : أنا لا أعني بخطابي هذا أولئك العلماء الذين سخروا جهودهم في خدمة الأمــة الإسـلامـيــة في أي مـيدان ؟ ، سواء في الدعوة أو التعليم أو التربية أو غير ذلك في مجالات الخدمة الـعـامــة ، إنـما أعني بذلك أولئك الذين قبعوا في دورهم ؟ .. أو جمدوا على كراسيهم يعدون الشهر بالـيـوم والليلة حتى يحين موعد المعاش أو العطاء أو الدَّيْن أو الربح أو غير ذلك من أهداف الدنيا الفانية غير مبالين بعلمهم وعملهم وحياتهم وإذا عملوا لا يعملون إلا لأنفسهم ويذلونها فـي سبيل طلب الدنيا ، فقد يركع البعض منهم لطواغيت الأرض أو يقبّل أطرافه بانحناء ؟ .. تزلّـفـاً إليه وتقرباً منه طمعاً في مادته وعطائه وخشية من سطوته وإبعاده .
فـيـا عـلـمــاءنا أفيقوا من هذه الغفلة أو الرقدة الطويلة واغتنموا ما بقي من العمر القصير ، واعلموا أن الـتـاريـخ يسجل عليكم كل صغيرة وكبيرة وسينشر صحائفه للملأ في الدنيا وأن القرين يسجل ذلك أيـضــاً لـيـوم الحساب والعذاب أو الثواب وسيقدم سجله لملك عادل لا تخفى عليه خافية .
فكفانا غفلة وإهمالاً وكفانا كسلاً وخذلاناً .. ولنبدأ الحياة من جديد بعمل جاد أكيد نغسل به ما مضى ونستدرك به ما بقي فـنقــول الحق ونطـلـب الحــق ونسعى لأجل الحق ، لا نخشى في الله لومة لائم ولا نخاف إلا من الله ولا نرجو إلا هــو وتـؤدى رسـالـته فنخدم عباده وأمته ونفيض بالعلم والخير عليها ونسخر كل طاقاتنا المادية والمعنوية علـمـيــة أو عـمـلـيـة فـي بناء الأرض وعمارتها بالعمل الصالح ، فتعود للأمة الإسلامية قوتها وعزتها وللإسلام علوه ومكانته فوق الأديان والأمم وما ذلك على الله بعزيز .

---

منتدى القراء

# أسباب رفع البلاء أو تخفيفه

أم عبد الرحمن

ذكر الله - سبحانه وتعالى - فـي كتابه الكريم أن المصائب والكربات التي تصيب المؤمنين من عباده هي من عند أنفسهم ســواء كـانــت هــذه المصائب فردية أو جماعية، قال - عز وجل - : ((وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْـدِيـكُــمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)) [الشورى:30] ومن رحمته - سبحانه - أنه جعل هذه الكربات أو البلايا التي يصيب بها عباده المؤمنين بمـثابة الدواء المر الذي يتجرعه المريض ليشفي من مرضه ، وهــذا المرض هو الذنوب التي

تـتـراكم في صحائف أعمال العباد فتأتي هذه المصائب لتكفر الذنوب ، ولتنبه ذوي القلوب الحية إلى العودة إلى الله بالتوبة إن أراد الله بها خيراً .
وقــد يستطـيــع المؤمن أن يفعل بعض الأسباب التي - بمشيئته - يرفع الله بها بلاءً كتبه عليه أو يخففه عنه بهذه الأسباب .. ومن هذه الأسباب وأهمها :

**(1) التقوى :**

ومعنى التقوى كـمـا هــو مـعـروف : هو فعل أوامر الله واجتناب معاصيه الظاهرة والباطنة ومراقبة الله في السر والعلن في كل عمل .
قال - سبحانه وتعالى - : ((ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً)) [الطلاق:2] .
جاء في تفسير ابن كثير : قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أي ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة . وقال الربيع بن خُثيم : ((يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً)) : أي من كل شيء ضاق على الناس .
ويأتي حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعبد الله بن عباس ليوضح نتيجة هذه التقوى أو أثرها في حياة المؤمن حين قال له : "يا غلام ، إني معلّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة" .
ومعى احفظ الله : أي احفظ أوامر الله ونواهيه في نفسك .
ومعى يحفظك : أي يتولاك ويرعاك ويسددك ويكون لك نصيراً في الدنيا والآخرة .
قال - سبحانه - : ((أَلا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ)) [يونس: 62] .

**(2) أعمال البر (كالإحسان إلى الخلق بجميع صوره) ، والدعاء :**

ونستدل هنا على ذلك بقصة الـثـلاثة الذين انسدَّ عليهم الغار بصخرة سقطت من الجبل ، فقالوا : " ينجيكم من هذه الصـخــرة إلا أن تـدعـوا الله بصالح أعمالكم" فكلٌّ دعا بصالح عمله فانفرجت الصخرة وخرجوا جميعاً، وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم.
وقد جاء في الحديث من صحيح الجامع الصغير :"صدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء".
وجاء في الدعاء من صحيح الجامع الصغير: "لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر.
فليثق بالله كل مؤمن ومؤمنة لهما عند الله رصيد من أعمال الخير، فليثق كل منهما أن الله لن يخذل من يفعل الخير خالصاً لوجهه الكريم وأنه سيرعاه ويتولاه . فكما قالت خديجة - رضي الله عنها - للرسول -صلى الله عليه وسلـم - عندما عاد إليها من غار حراء وهو خائف بعد نزول جبريل - عليه

السلام - مذكِّرة لــه بـسـجـاياه الطيبة، وأعماله الكريمة وأن مَن تكون هذه سجاياه وأعماله فلن يضيعه الله وسيرعاه ويتولاه بحفظه.
قـالـت له : »كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك تـصـل الـرحـم ، وتـصـــدق الحديث ، وتحمل الكَلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق« .
ومن أمثلة أثر الدعاء في رفع البلاء قبل وقوعه : قصة قوم يونس . قال - تعالى - : ((فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إيمَانُهَا إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِـي الـحَـيَاةِ الدُّنْيَا ومَتَّعْنَاهُمْ إلَى حِينٍ)) [يونس: 98] . وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية : أنه عـنـدمــا عاين قوم يونس أسباب العذاب الذي أنذرهم به يونس خرجوا يجأرون إلى الله ويستغـيـثـونــه ، ويتضرعون إليه وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم وسألوا الله أن يرفع عنهم العذاب ؛ فرحمهم الله وكشف عنهم العذاب .
وتـحــدث ابن قيم الجوزية في كتابه (الجواب الكافي) عن الدعاء قائلاً:
"والدعاء من أنفع الأدويــة ، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ، ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن ، وله مع البلاء ثلاث مقامات :
**أحدها** : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .
**الثاني** : أن يـكــون أضـعـف من البلاء ، فيقوى عليه البلاء ، فيصاب به العبد ،ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً .
**الثالث** : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منها صاحبه" .
وقال أيضاً : "ولما كان الصـحابـة - رضي الله عنهم - أعلم الأمة بالله ورسوله ، وأفقههم في دينهم ، كانوا أقوم بهذا السـبـــب وشروطه وآدابه من غيرهم ، وكان عمر - رضي الله عنه - يستنصر به على عدوه وكان يقول للصحابة : لستم تنصرون بكثرة ، وإنما تُنصرون من السماء" .

## (3) الإكثار من الاستغفار والذكر :

قال - سـبـحـانه - : ((ومَا كَانَ اللَّـهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)) [الأنفال:33] .
وقد كشف الله الغمة عن يونس - عليه السلام - وهو في بطن الحوت لكثرة تسبيحه واستغفاره ، قال - سبحانه - فـي ســورة الـصـافــات : ((فَـالْـتَـقَـمَهُ الحُوتُ وهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ))[ الصـافــات:142-144] وكان من استغفاره - عليه السلام - وهو في بطن الحوت قوله : ((لاَّ إلَــهَ إلاَّ أَنــتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ))[الأنبياء:87] وقال- صلى الله عليه وسلم - عن هذا الدعاء : »دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له« .

وهكذا سيجد المؤمن والمؤمنة - بإذن الله - أثراً محسوساً في حياتهما بهذه الأسباب السالفة الذكر إن فعلاها وبالأخص في وقت الرخاء »تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة« وأن يُراعَى فيها إخلاص النية لله ؛ عندئذ تؤتي ثمارها بمشيئة الله وتكون كالرصيد المالي المدخر الذي تظهر منفعته وقت الحاجة إليه.

---

الصفحة الأخيرة

# المجتمع المخملي

الذي يتابع بعض المجلات العربية- وخاصة التي تصدر في الخارج والتي توصف بأنها سياسة إخبارية مصورة - يجد أنه برغم تباين اتجاهاتها ما بين يمين ويسار، ورغم اختلاف أغراضها ، فإنها متفقة على شيء واحد يظهر في الصفحات الأخيرة منها وهي صور حفلات (عِلية القوم) من أغنياء ووزراء، وأصحاب شركات وأصحاب أقلام صحفية مغموسة بالرياء والنفاق . حفلات في أفخم الفنادق في أوربا والبلاد الغربية ينفق عليها الآلاف بل الملايين ، تظهر فيه هذه الفئة (المترفة) على حقيقتها ، من حب الظهور و(الفخفخة) والتفاهة، إنهم يعيشون في وادٍ والشعوب العربية في وادٍ آخر. عندما ترى هذه المناظر (المنكرة) تشعر كم هي سحيقة الهوة بين طبقات مجتمعنا، فلماذا تلوم هذه الصحف الشباب الذي يبحثون عن العمل ، عن الشقة، عن إعفاف نفسه بزوجة مستورة الحال فلا يجد إلى ذلك من سبيل . لماذا يعجبون أن يصبح الشباب في حالة نفسية غير سوية ، ويتصرفون تصرفات غير صحيحة ؟! ، إن هؤلاء الصحفيين الذين يتباكون على مشاكل البلاد العربية، ويظهرون الشفقة على مستقبلها يشجعون (المترفين) على الإنفاق حتى يصيبهم شيء منه ، إن هذه المفارقات الصارخة ستؤدي إلى الكوارث ، وإنها مناظر مؤذية مؤذية .

---

**تمت بعون الله والحمد لله**

---